اسماء تعرفها بغداد
محمود صبحي الدفتري

ذكريات عن الحركة الكشافية في العراق

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2963) السنة العاشرة
الاثنين (16) كانون الاول 2013

WWW. almadasupplements.com

6
بواكير اهتمامات محمد مهدي البصير السياسية

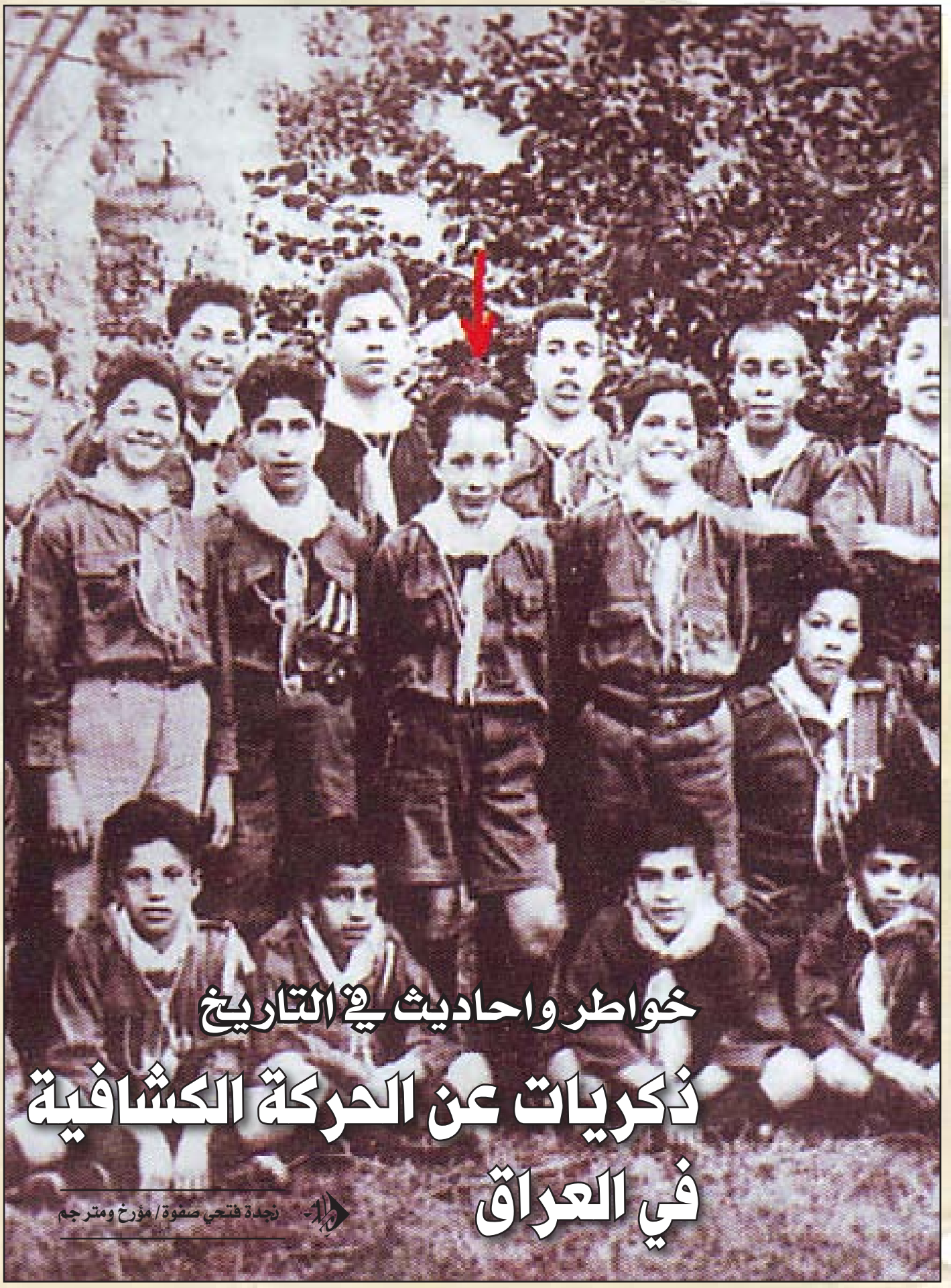

خواطر واحاديث في التاريخ
ذكريات عن الحركة الكشافية في العراق

نجدة فتحي صفوة/ مؤرخ ومترجم

(الكشافة) نظام شبه عسكري للفتيان والفتيات يهدف الى غرس روح النظام والطاعة، ومساعدة الغير، والاعتماد على النفس، ونجدة الضعيف والعاجز، وحب الوطن والدفاع عن حياضه، اسسه رجل انكليزي اسمه "السر روبرت بادن ـ باول". اما في العراق فيعود ابتداء حركة (الكشافة) الى اواخر عهد الدولة العثمانية التي كانت قد ادخلت هذا النظام على مدارسها اقتداء بحلفائها الالمان، واودعت امرها الى ضابط من الجيش التركي، تحت اشراف كولونيل الماني يدعى "فون هوف". واول فرقة كشافية في العراق كانت فرقة "المدرسة السلطانية" ببغداد التي تشكلت في عام ١٩١٥، الا انها اهملت واختفت خلال الحرب العالمية الاولى دون ان يكون لها اثر كبير.

وبعد الاحتلال البريطاني تولى شؤون المعارف (التربية) في العراق انكليزي اسمه المستر (غاربت) الذي كان بنفس الوقت "ناظر للمالية". وفي سنة ١٩١٨ دعا "غاربت" مديري المدارس الرسمية والاهلية في بغداد وفاتحهم في موضوع تشكيل فرق الكشافة، في مدارس العراق، ثم عهد الى بعض افراد الجيش البريطاني ممن سبق لهم العمل في منظمات الكشافة، بتشكيل بعض الفرق في العاصمة بمساعدة بعض المعلمين الوطنيين، فتشكلت فرق كشافية، منتظمة في مدارس البارودية والحيدرية والفضف وباب الشيخ والكرخ ورأس القرية والكردان الاهلية، وارتبطت كشافة العراق بمقر "الكشاف البريطاني لما وراء البحار" في لندن.

وخلف "غاربت" في ادارة (المعارف) بريطاني آخر هو "الميجر بومن" الذي استقدم من مصر، وكان يعمل في (وزارة المعارف) المصرية منذ سنوات عديدة (وله كتاب بعنوان "نافذة على الشرق الاوسط" يتضمن مذكراته في فلسطين ومصر والعراق) وواصل "بومن" ما بدأه سلفه من نشر نظام "الكشافة". وفي سنة ١٩١٩ دعا بعض اعيان البلد، وكلفهم بتشكيل جمعية لمساعدة الكشاف العراقي، فعقد الحاضرون اجتماعا وانتخبوا هيئة ادارية مؤلفة من السادة: ابراهيم الراوي (اللواء الركن فيما بعد) وفخر الدين آل جميل (رئيس مجلس النواب فيما بعد) وعبد الجبار خياط (مدير الزراعة العام فيما بعد)، وداود فتو، وكريكور اسكندريان، كما انتخب "الميجر بومن" رئيسا فخريا للجمعية، فعقدت بضعة اجتماعات وسعت في جمع التبرعات لنظام الكشافة، ولكن هذه الجمعية لم يطل عمرها، بل تفرقت بعد مدة قصيرة.

وبعد تشكيل الحكم الاهلي في العراق تولى ادارة (المعارف) الاستاذ ساطع الحصري، فأعاد تنظيم التعليم في العراق على اسس جديدة تقوم على المبادئ التربوية الحديثة من جهة، وتوجيه الناشئة توجيها وطنيا وقوميا من جهة اخرى، وكان بين الامور التي اولاها عناية نظام الكشافة. فقد شجع الحركة الكشافية تشجيعا كبيرا، واصبح سكرتيرا فخريا لجمعية الكشاف العراقي، وجعلها جمعية عراقية مستقلة عن "مقر الكشافة البريطاني"، واسس في (وزارة المعارف) مديرية سميت "مديرية التربية البدنية والكشافية" وعين المرحوم جميل الراوي مفتشا للكشافة، وكان قد انتدب لبث فكرة الكشافة من الالوية (المحافظات) فقام بتأسيس فرقة كشافية في الموصل وكركوك والبصرة والعمارة والناصرية، وبلغ مجموع فرق الكشافة العراقية ٦٢ فرقة، وانتشرت الحركة في مدارس العراق انتشارا واسعا، وبلغ عدد المنتمين اليها بين سنتي ١٩٣٠-١٩٣١ حوالي اثني عشر الف كشاف، وهو عدد كبير بالنسبة الى عدد طلاب المدارس في العراق في تلك السنوات.

وتبنت جمعية الكشاف العراقي نشيدا خاصا لا يحضرني اسم ناظمه في الوقت الحاضر، ولعله كان الرصافي، ولكن الحانة لا تزال ترن في اذني لكثرة ما كان ينشد في المدارس في الثلاثينيات، ويتردد على لسان كل تلميذ في المدارس والشوارع والبيوت، وهو يبدأ بالبيتين الآتيين:

نحن كشافو العراق
خير ركن للوطن
تحت ظل الحق نمشي
لا نبالي بالمحن

وقد شجع انتشار حركة الكشافة في العراق. وما لقيته من دعم وتشجيع، على اصدار مجلة ثقافية مدرسية اسمها (الكشاف العراقي)، وكان مدير شؤونها (المحامي) محمود نديم اسماعيل (الذي كان في ذلك الوقت مدرسا في دار المعلمين). وقد صدر العدد الاول من هذه المجلة في حزيران سنة ١٩٢٤، وتوجد مجموعة منها في (المكتبة الوطنية) ببغداد، وآخر اعدادها الموجودة هو العدد الصادر في شباط ١٩٢٧، وكانت تصدر مرتين في الاسبوع، وقيمت النسخة الواحدة منها ٤ آنات، اي حوالي ١٦ فلسا، وقد وصفت المجلة نفسها بأنها "مجلة علمية ادبية تهذيبية تحتوي على كل ما يهم الكشاف معرفته من المواد العلمية والعملية"، كما

وصفت غايتها بأنها "نشر حركة الكشافة ومساعدة نهضتها في العراق" ، وكانت ادارتها في (دار المعلمين) ببغداد.
ويظهر من تصفح اعداد هذه المجلة، وهي نادرة جدا، انها تحتوي على مقالات قصيرة عن حركة الكشافة في العالم وفي العراق ومعلومات عن المخيمات والرحلات التي تقوم بها بعض الفرق الكشافية داخل العراق وخارجه، فقد قامت بعض الفرق برحلات الى سورية وفلسطين ومصر، وفي المجلة عدد من القصائد الوطنية، بينها قصيدة عنوانها (سوائح كشاف) لشاعر شاب اسمه (مصطفى جواد الدلتاوي) . العريف البحري الجوال سابقا بدار المعلمين وهو الدكتور مصطفى جواد اللغوي والمؤرخ المعروف فيما بعد، ومن ابياتها

امن السعادة ان اكون جمادا
واروم من هذي الحياة رقادا
لا، ما خلقت لان اكون مقيدا
والى احافير الردى منقادا

ومنها:
سميت كشافا واني مصلح
نقص الحياة، وناشرا ارشادا
روحي تعودت اللطافة والعلى
وعلى ربي بالفضيلة جادا

وقد نشرت هذه القصيدة في العدد السادس من المجلد الاول، الصادر في تشرين الثاني ١٩٢٤.

وقد استمرت حركة الكشافة في العراق نشيطة حتى اواسط الثلاثينيات وفي سنة ١٩٣٦ استبدل بها (نظام الفتوة) الذي وضعه الدكتور سامي شوكة، وكان مديرا عاما فوزيرا للمعارف، واصبح هذا النظام شاملا لجميع المدارس العراقية على اختلاف مستوياتها، وكذلك موظفي (وزارة المعارف)، وكان نظاما عسكريا له درجات، وزي عسكري، ورتب وشارات، وكان شعاره الحديث النبوي الشريف: "اخشوشنوا فان الترف يزيل النعم" . وبقي (نظام الفتوة) معمولا به الى سنة ١٩٤١ وقيام "حركة مايس" في تلك السنة. ولما عاد النفوذ البريطاني الى العراق قويا بعد فشل الحركة، وسيطر على (وزارة المعارف) خلال سني الحرب العالمية الثانية خبراء بريطانيون (هملي وسكيف وغيرهما) الغي نظام الفتوة الذي اعتبره شبيها بمنظمات الشبيبة الفاشيستية والنازية، في ايطاليا والمانيا وغيرهما، وهو في الحقيقة لم يكن كذلك، وانما كان نظاما يهدف الى غ رس الروح العسكرية والقومية، ومبادئ الوحدة العربية في نفوس الناشئة وذلك لم يرق للانكليز في تلك الفترة، وكان مناقضا لسياستهم التعليمية ومصالحهم، وخاصة في ظروف الحرب.
وهكذا الغي (نظام الفتوة) ونسيه الناس او كادوا، كما نسوا من قبل (نظام الكشافة) .

عن كتاب (احاديث في التاريخ)

الحلقة الماركسية الاولى في العراق

د. عبد الله حميد العتابي

بدَأ التبشير الاشتراكي في العراق منذ العشرينيات من هذا القرن حيث كانت تصل اليه مجلة الحزب الشيوعي البريطاني وصحيفة الاومانتيه لسان حال الحزب الشيوعي الفرنسي والتي كانت تصل من لبنان سراً كجزء من نشاط الحزب وقد قامت بهذا التبشير جماعة قليلة من الاشخاص تبنوا الفكر الاشتراكي كهواية لاكاسلوب للعمل السياسي والممارسة التنظيمية فقد تأثر كل من حسين الرحال ، محمود احمد السيد ، عبد الله جدوع ، ابراهيم القزاز ومصطفى علي بالافكار الماركسية.
وحاول محمود احمد السيد الذي كان اديباً ان ينطلق في كتاباته من منطلقات ماركسية فقد وصف اوضاع الفلاحين العراقيين وتعاسة الحياة الريفية باسلوب اثار فيه ضمير الشعب وايقاظه على صعوبات الحياة في الريف واخذ يركز على تنظيم النقابات العمالية لا على التحريض السياسي وعلى اية حال فقد قامت هذه الجماعة بوضع تقرير مفصل في عام ١٩٢٣ شرحت فيها الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي يمر بها العراق كما اكدت فيه ظروف الاستغلال الاستعماري الذي يعيشه العراق في ظل الانتداب البريطاني وترجمته الى الفرنسية ورفع الى لينين
وقد اتجهت الى الميدان الصحفي كمحاولة لترويج الافكار الماركسية فاصدرت مجلة الصحيفه في ١٨ كانون اول ١٩٢٤ وذكرت تحت عنوانها بانها مجلة نصف شهرية صاحبها حسين الرحال وكانت المواضيع التي تصدت لها تتمحور بطرح حلول لمشاكل العراق الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ودعت الى تحرير المرأة وتعليمها وهاجمت الاقطاع والرجعية كما تبنت شعار الثوار الايطاليين الكاريبالديين الرب والشعب وهو يعني تحرير الدين من الشعوذة والايمان بالشعب .
ويبدو انها طرحت فكراً اقتصادياً ذا ملامح اشتراكية تدور حول الموضوع دون التعمق به ونتيجة للدعاية السيئة التي كان يقودها المحافظون ضد الجريدة ولاسباب ماليه فقد توقفت المجلة عن الصدور كان نشاط هذه الحلقة يدور في مناقشة الفكر التقدمي وما يستجد بشأنه وفي تبادل المطبوعات الاجنبية واصبحت هذه المجموعة كحلقة ملتزمة بمبادئ تقدمية بل ان بعض الباحثين سموها اول حلقة ماركسية في العراق.
والحق فان حسين الرحال كان المحرك للنشاط الاشتراكي تلك المدة ولد حسين الرحال في بغداد في عام ١٩٠٢ وكان والده ضابطاً في الجيش العثماني دخل مدرسة اللاتين في بغداد وتعلم الفرنسية ثم نقل والده الى اسطنبول فدخل المدرسة الثانوية هناك واثناء دراسته في مدسة الهندسة في المانيا

حسين الرحال

اندلعت الثورة الالمانية في برلين عام ١٩١٨ التي كان السبارتاكسيون من ورائها والمعتقد ان هذه الثورة هزت حسين الرحال بعنف وبعد عودته الى بغداد التف حوله الشباب الوارد ذكرهم سلفاً .
ولعل من المفيد القول ان حسين الرحال في سبيل معرفة الفكر الاشتراكي بشكل اعمق قد بذل جهدا في الحصول على المطبوعات ذات المضمون الاشتراكي من اي مصدر كان ثم اخذ يحاول الحصول على الكتب الاجنبية التي اعتقد انها المصدر الحقيقي لمعرفته الاشتراكية فاقتنع محمود حلمي صاحب المكتبة العصرية في بغداد بان يقوم باستيراد النشرات الاشتراكية عن طريق وكلائه في الخارج .
وقد تم فعلاً الحصول بواسطته على بعض النشريات التي كان تصدرها يومذاك دور النشر في فرنسا وكان اول الكتب التي قرأها الرحال بعد عودته الى العراق كتب لينين الاستعمار اعلى مراحل الرأسمالية ثم كتاب الدولة والثورة كما استطاع بالوسيلة نفسها الحصول على مجلة كابيه دي بولشفيك كما قرأ لاول مرة شعر ناظم حكمت مترجماً الى اللغة الفرنسية.
وكان الرحال يروي لهم ما يقرأه في الصحف والمجلات الالمانية وغيرها وعن الحركات الاشتراكية التي شهدتها المانيا اثناء وجوده هناك ويصف عبد الله جدوع زميله الراحل بالقول : لم يكن المصدر الرئيس لمعرفتنا بالاشتراكية واثرها في توجيه البشرية الى الخير والسعادة بل كان عنصراً مجدداً ومساهماً فيما نقرأه نحن .
وكان الرحال يشتري الكتب من مكتبة مكنزي ويعيرها لاصدقائه يعتقد المؤرخ العراقي المعاصر عبد الرزاق مطلق الفهد في كتابه بدايات الفكر الاشتراكي في العراق ١٩١٧. ١٩٣٦، ص١٢٨ : ان الرحال مع قراءته لما كتب هناك عن الفكر الاشتراكي ، فانه لم يفهم الاشتراكية بشكل عام لكنه كان لديه صورة باهته عن الاشتراكية وافكار سطحية ربما عرف عن الاشتراكية انها نمط من العدل الاجتماعي او البر بالفقراء والعطف عليهم اي انها مسألة انسانية ليست لها اسس معينة فالظروف غير الطبيعية التي كانت تسود المانيا اثناء الثورة والحرب لم يتح لها الاطلاع بشكل دقيق على الاشتراكية وربما لم تكن لديه تلك الامكانية الفكرية التي تتيح له استيعاب الفكرة وتتبعها بشكل سريع ويبدو ايضاً انه لم يدرسها بعمق ووفق خطة معينة منظمة اذ بعد ان عاود الى بغداد عام ١٩١٩ لم يظهر له في البداية نشاط واضح في بث الفكر الاشتراكي والدعاية له كما ان من التقى معه هذه المرة لم يفهم منه فكرة واضحة عن الاشتراكية .
ويؤيد ذلك قول السيدة امينه الرحال انه كون في المانيا صورة سطحية عن الاشتراكية ويؤكد السيد عبد القادر اسماعيل رأي المؤرخ الفهد بالقول النظرية الماركسية لم افهمها منه وان كل ما عنده اشياء سطحية ولم يكن هناك هضم للنظرية الاشتراكية والحق فان افكار الرحال كانت خليطاً من المبادئ الليبرالية والديمقراطية والاشتراكية والشيوعية وهي افكار نظرية مثالية لاسيما اذا ما عرفنا ان تجربة الحزب الشيوعي في روسيا كانت في بواكيرها.
بعد غلق مجلة الصحيفة بقى الجماعة يلتفون بين حين واخر ولكن دون نشاط ثقافي يذكر عدا ما كتبه محمود السيد بعد ذلك من قصص ادبية تعالج غالباً مشاكل الفقر والجهل ثم انشغل افراد كل من شوؤنه الخاصة من ذلك اندماجها في روتين الوظائف فعمل محمود احمد السيد سكرتيراً لمكتب العمال والبلديات في وزارة الداخلية ثم سكرتيراً لمجلس النواب فتوفي في مصر ودفن هناك اما حسين الرحال فلم يظهر له نشاط فكري بعد ذلك وطواه النسيان والامر يثير الغرابة في التحول السريع في حياة الرجل من نشاط وحيوية في مجال الفكر والاداب الى انغماسه في ملذاته الشخصية غير انه استمر يحمل فكراً تقدمياً ويعلن افكاره ويعبر عنها لكل من حوله وقد استمر بالوظيفة حتى احيل على التقاعد عام ١٩٦٣ ويظهر ان افكاره تغيرت واخر ايام حياته اذ هاجم الحزب الشيوعي في عام ١٩٦٦.
نستخلص مما تقدم ان هذه الجماعة الصغيرة لم تتمكن من بناء تنظيم سياسي ماركسي في العراق في تلك المدة لعدم توافر الشروط الموضوعية لها حيث انها لم تمتلك الاستعداد لاحتراف العمل السياسي ونبذ اساليب الهواية كما لم يكن لديها الخبرة للعمل السياسي والنضال في صفوف جماهير الكادحين فضلاً عن ذلك وجود عوامل اخرى تمثلت بالنهوض القومي انذاك في العراق المقترن بالدين الاسلامي ولوجود التناقض المتاصل بين الدين والفكرة الماركسية.

اسماء تعرفها بغداد

محمود صبحي الدفتري

امين العاصمة في الثلاثينات

حوادث وحكايات عن بغداد ايام زمان

شاهد من القرن التاسع عشر يتذكر:

((صالون الجمعة الادبي)) من هم مرتادوه؟ وماهي حكاية ((كورة)) الزنابير فيه..؟

ماهي مراسم تنصيب الوالي الجديد في بغداد..؟

مرة اخرى.. معلومات جديدة عن مصالحة الزهاوي والرصافي عام ١٩٢٨

حوار: عادل العرداوي

جميل جدا ان يدخل النسان برج الـ (٩٠) عاما.. وذكارته مازالت طرية ومتوجهة وبلمحة خاطفة تسدل الستارة عن تراكمات السنين الطويلة التي خلفها "مشوار" العمر فعندما يتحدث محمود صبحي الدفتري ابن بغداد الذي انجبته في ١٤ كانون الاول ١٨٨٩م.. تكون لذلك الحديث نكهة متميزة وخصوصية واضحة.. فالرجل عاش فترتين حاسمتين من تاريخ بغداد وتاريخ العراق.. جاء هذه الدنيا او اخر القرن التاسع عشر وعبره الى القرن العشرين..

اذن فالدفتري صورة حقيقية للماضي الطريف الذي لا نعرف من اسراره نحن ابناء هذا الجيل سوى النزر القليل..

وبما ان الدفتري اسم عريق تعرفه بغداد جيدا.. حيث انه رافقها وزاملها وخدمها وعمل من اجلها.. كما هي احتضنته وربته وانشأته بين جوانحها منذ ولادته وحتى يومنا هذا.. وبما ان لهذا الرجل الشيخ رفقة طويلة مع هذه المدينة العريقة ووشيجة حب لا ينفرط عقدها.. فقد بذلت مجلتنا قصارى جهدها في الوصول الى الدفتري.. والتحدث اليه.. وتحريك الكوامن والمشاعر الخافتة فيه رغم علمنا ان الرجل معتل الصحة ومتعب من ثقل الجسد وسنين العمر.. فكان ان ساعدنا للوصول اليه والتحدث لمجلتنا.. نسيبه الاستاذ خيري العمري وكذلك السيدة "لميس" كريمة الدفتري.. فشكرا لهما وله على فيض المعلومات والذكريات الجميلة التي رفدنا بها.. وحديثنا معه بمثابة اطلالة قصيرة على بغداد الامس.. وحياتها الاجتماعية والادبية والبلدية الخ..

هكذا ينصب الوالي الجديد..

يوم كانت بغداد ولاية تابعة للسلطان العثماني في (استانبول).. كانت هاك مراسم معينة عندما يقرر السلطان تعيين الوالي الجديد لولاية بغداد.. واجراءات رسمية معروفة انذاك.. والدفتري عايشها وحضرها خاصة ايام العثمانيين في العراق.. سألته عن تلك المراسم والاجراءات.. قال لي:

بالفعل اني شاهدت بنفسي هذه الاجراءات بالنسبة الى واليين: الوالي عبد الوهاب باشا والوالي سليمان نظيف.. وهو الاديب التركي المعروف الذي تولى ولاية بغداد.

وكان البغداديون يهرعون الى استقبال الوالي الجديد من خارج بغداد، عندما يصلهم خبروصوله. وقد جرت العادة ان يجعل الولاة موعد وصولهم الى الولاية خلال اوقات الدوام الرسمي ليذهبوا مباشرة الى السراي. القشلة وعند وصوله السراي تطلق المدفعية طلقات تحية له معلنة للناس بوصوله السراي ومباشرته عمله.

وبعد وصوله يعين الوالي يوما معينا لتلاوة (الفرمان الهمايوني) اي المرسوم السلطان الذي يتضمن ديباجة خاصة يخاطب فيها السلطان الوالي الجديد بما معناه، انه بالنظر لما اعهده عنك من اخلاص ولما لبغداد من اهمية خاصة فقد قررت تعيينك واليا عليها فعليك ان تبذل جهودا مخلصة لادارة امورها ورعاية مصالحها وفي اليوم المعين الذي يحدد فيه موعد تلاوة (الفرمان) يحضر كبار الموظفين العسكريين والمدنيين بملابسهم الرسمية يحملون اوسمتهم، كما تحضر وجوه الولاية واعيانها ورجال الدين حيث يتم ذلك الاجتماع ويطلع الوالي الجديد وهو يحمل الفرمان ويسلمه الى احد كبار موظفي الولاية والاغلب يكون ذلك الموظف (المكتوبجي) اي سكرتير الولاية وبعد ان يقبله بخشوع ويفتح ياخذ بتلاوته على الحضور بصوت جهوري وحينئذ يقوم الجنود برفع اسلحتهم تحية للفرمان السلطاني. وبعد تلاوة الفرمان على النحو المذكور.. يقف الوالي الجديد ويلقي كلمة مناسبة تعبر عن ولائه للسلطان ورجائه في ان يوفقه الله الى ما فيه مصلحة الولاية، ثم يتقدم احد رجال الدين لقراءة وترديد بعض الادعية الدينية. حتى اذا انتهت هذه الاجراءات ينصرف الحاضرون متمنين الخير والتوفيق للوالي الجديد..

بغداد قبل (٨٠) عاما..

بالتأكيد فان بغداد الامس غير بغداد اليوم.. والفارق كبير جدا.. طلبت من الاستاذ الدفتري ان يحدد لنا بعض ملامح هذه المدينة اواخر القرن التاسع عشر باعتباره واحدا من ابنائها القدامى..

كانت بغداد في تلك الايام.. والى سنوات خلت مجموعة ازقة (ودرابين) ضيقة تجتمع في احياء مختلفة بحيث يكون كل حي وحدة مستقلة لها مسجدها وحمامها ومختارها وحلاقها، تستيقظ فجر كل يوم على اصوات المؤذنين الذين يدعون اهل بغداد الى الصلاة، او على اصوات نداءات الباعة المتجولين، فتدب الحياة مع الفجر وينصرف الناس الى اعمالهم، الموظف الى السراي، التلميذ الى الكتاب، البقاء الى الحانوت، فكانت الازقة على ضيقها تعج بهذه الاصناف وتزدحم بهم.

وكانت البلدية تتولى سد الاحتياجات العامة من تأمين الحراسة في الليل، الى القيام بتنوير الازقة وتنظيف الدرابين ورفع النفايات، وبطبيعة الحال لم يكن الكهرباء في ذلك الوقت موجودا، فكانت تستخدم (اللمبات) النفطية فعندما يحل المساء ويزحف الظلام يسرع موظفو البلدية المسؤولون عن التنوير الى اشعال تلك (اللمبات) وهم يطوفون حاملين السلم الخشبي ليصعدوا الى حين موضع اللمبة حيث يضع الموظف المسؤول الزيت ثم يشعلها وينصرف، ويسمى هؤلاء المستخدمون (اللمبجية).

والماء باعتباره المادة الاساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها، كان ينقل الى الدور بواسطة (السقاء) من النهر، فكان السقاء شخصية معروفة في الاحياء ينادي باعلى صوته عندما يصل حاملا الماء على ظهر حماره ليعلن الى اهل الدار وصوله. وكان على الاغلب يوصي الاهالي هذا السقاء ان يجلب لهم الماء من (نصف الشط) وليس من جانب النهر حيث ان الماء في منتصف النهر انقى وانظف.

اين يقضي البغدادي فراغه ايام زمان؟

ويواصل الدفتري ذكرياته معنا.. فيتحدث انا عن ملامح الحياة الاجتماعية السائدة ايام الاحتلال الانكليزي واوائل الحكم الوطني بقوله:

× لم تكن هناك (نوادي) بل كانت اجتماعات الناس تتم في المقاهي حيث يلتقون مع بعضهم، ويجلسون على تخوتها يدخنون (النركيله) ويشربون القهوة العربية، ويتناقلون الاخبار ويتبادلون الروايات والاحاديث واكثر ما كانت تلك الاحاديث تدور حول اوضاع الزراعة وشؤون الولاية وما يقع من مغامرات يمارسها الشقاة ضد الجندرمة (الدرك).

اما علية القوم فقد كانت لهم مجالسهم الخاصة في بيوتهم حيث يستقبلون ضيوفهم، فقد كان والدي فؤاد الدفتري، كما كان جدي اسماعيل من قبله، يستقبل زواره في يوم الجمعة وكان يسمي مجلسه بصالون الجمعة وكانت تلك المجالس تمثل بيئة بغدادية تختلف عن بيئة المقاهي، فالاخيرة كانت عامة ترتادها الطبقات الشعبية من عمال وكسبة وغيرهم، اما الاولى فقد كانت تمثل بيئة خاصة من بيئات بغداد.

وكان لكل محلة من المحلات مجالس خاصة يعقدها وجوه تلك المحلة، حيث يستقبلون ضيوفهم وزوارهم وكانت هناك اصول وتقاليد في تلك المجالس يحرص اصحابها وروادها على احترامها ومراعاتها، سواء من حيث ترتيب الجلوس ومكانه او من حيث تقديم التبغ او القهوة.

صالون الجمعة.. لمن؟

×كان صالون الجمعة تقليدا لبعض البيوت

البغدادية.. طلبنا من الاستاذ الدفتري ان يوضح مهمة هذا الصالون ونوعية مرتاديه.. وذكرياته عنه:

بالنسبة لصالون الجمعة فقد بقي مفتوحات بعد وفاة والدي، يتردد اليه الاصدقاء والمعارف ومنهم الاديب والمفكر والسياسي والتاجر والشيخ المعمم والشاب المتمدن ويطرح خلال انعقاده موضوعات شتى تعالج ما يشغل اذهان الناس في تلك الفترة من امور تتعلق بالسياسة او تتصل بالادب.

وكان الادباء حلية ذلك المجلس يخلعون على اجتماعاته متعة بما يتحدثون به ويتناقشون حوله، ولعل الزهاوي كان ابرز رواد ذلك المجلس في العشرينيات واوائل الثلاثينيات، يبكر في الحضور الى الصالون راكبا حماره ولا يخرج منه الا بعد انفضاضه.

وكان يأخذ مكانا معينا من الصالون ويلتف حوله عدد من الادباء الشباب امثال احمد حامد الصراف، واكرم احمد ومحمد بهجة الاثري وروفائيل بطي وغيرهم يتلو عليهم بأسلوبه الخاص اخر ما ينظم من شعر وما قيل بحقه من مدح وثناء، وكثيرا ما كانت تثار المناقشات حول قصائده فيتصدى له البعض بالنقد فيثور الزهاوي ويعربد.

وكان من رواده في الثلاثينيات والاربعينيات والخمسنيات بالاضافة الى ما تقدم الاساتذة معروف الرصافي وابراهيم صالح شكر وعبد المسيح وزير ونوري ثابت المعروف بـ (حبزبوز) وطه الراوي وعبد الله الشواف ومنير القاضي من الادباء.

وياسين الهاشمي وطه الهاشمي وجميل المدفعي وحكمة سليمان وعبد الوهاب محمود ويونس السبعاوي وحسين جميل وغيرهم من السياسيين.

وقد جذب الصالون بعض الشخصيات العربية والاجنبية التي قدر لها ان تمر ببغداد او تقيم بها اقامة مؤقتة فكان عبد العزيز الثعالبي وعبد الرزاق السنهوري وسعد الله الجابري ورياض الصلح وعلي الجارم ممن ترددوا عليه وكذلك الدكتور زكي مبارك الذي كتب عنه يصفه في احدى مقالاته الادبية التي تناولت ملامح المجتمع العراقي. كما زاره الفيلسوف التركي رضا توفيق، وفؤاد كويرلي الاديب والوزير التركي المعروف..

وخلال المناقشات التي كانت تقوم فيه كنت اوميء عندما اشعر بوجود حديث خاص لدى البعض يقتضي التكتم الى غرفة صغيرة متصلة بصالون الجمعة الذي ينعقد في داري في الحيدرخانة لننتقل اليها ونتحدث بحرية اكثر.

وقد اتفق مرة ان فتح عمر نظمي وهو وزير داخلية انذاك باب هذه الغرفة فوقع بصره على محمد يونس السبعاوي وابراهيم صالح شكر وفائق السامرائي يتهامسون ببعض الاخبار السياسية فما كان من الا ان اسرع بغلق باب هذه الغرفة قائلا: (انها كورة الزنابير لست اؤمن نفسي من لدغاتها اذا دخلتها!!).. ومنذ ذلك اليوم سميت هذه الغرفة الصغيرة "الكورة".

في بيت الدفتري تصالح الزهاوي والرصافي..!

×الشاعران المرحومان الزهاوي والرصافي كثيرا ما تخاصما وتصالحا.. واشهر حفلة مصالحة بينهما تتذكرها بغداد لحد اليوم.. حفلة الدفتري التي اقامها لهما في داره وحضرها حشد من الادباء انذاك.. سألته عنها ولماذا اقامها لهما دون غيره؟

في صالون (الجمعة) تمت مصالحة الشاعرين الكبيرين جميل صدقي الزهاوي ومعروف الرصافي في يوم ٨ كانون الاول ١٩٢٨م، فقد كان كلاهما من الوجوه اللامة التي ترتاد الصالون فلما نشبت بينهما الخلافات التي كانتتدور حول زعامة الشعر في العراق وراح البعض يسعى لتأجيج تلك الخلافات رأيت ان الواجب الادبي يقضي علي ان اسعى الى الصلح بينهما لا سيما وكلاهما كان استاذي، حيث تتلمذت على الاستاذ الرصافي في المدرسة الاعدادية في بغداد، وكان يقوم بتدريس اللغة العربية، وعلى الزهاوي في مدرسة الحقوق (كما كانت تسمى حينذاك) حيث كان يقوم بتدريس مجلة الاحكام العدلية (بما يسمى القانون المدني الآن).

وقد جهودا في اقناع الرصافي فوافق بعد لأي على الحضور مشترطا عدم الخوض في موضوع الخصومة، فوافقت لاني اعتقد ان حضورهما في داري معا يعني الصلح، وتم اجتماعهما وسط مهرجان ادبي مصغر حضره نخبة من ادباء بغداد القى فيه كل من الشاعرين قصيدة شعرية، حيث القى الرصافي قصيدته السياسية الشهيرة (لا للانتداب)، وكان بها تجريح شديد للانتداب البريطاني، اما الزهاوي فقد القى قصيدة يصف بها الشعر وشاعريته وختم القصيدة بالبيت

مدحة باشا

الآتي مشيرا الى الصلح:

جمع الاديب الحر صبحي شملنا
في داره اكرم بها من دار

اما الاشخاص الحاضرون بالاضافة الى الشاعرين فهم الاساتذة: عبد العزيز الثعالبي وعطجا الخطيب وعلي محمود الشيخ علي وبهاء الدين شيخ سعيد وجميل المدفعي وطه الراوي وموفق الالوسي ورؤوف الكبيسي وعبد المسيح وزير وابراهيم كمال واحمد حامد الصراف وطه الهاشمي ومزاحم الباجه جي وعلي ممتاز وعبد العزيز المظفر وعبد الله الشواف ومحمد بهجة الاثري وروفائيل بطي وتوفيق السمعاني وقد تغيب عن الحفلة ياسين الهاشمي وكامل الجادرجي حيث ذهبا معا الى بعقوبة لاشغال خاصة وتأخرا في العودة لاسباب قاهرة.

من بلدية بغداد.. الى امانة العاصمة

×نعود مرة اخرى لنتعرف على الدفتري الذي اشغل منصب امين العاصمة لفترتين في اوائل الثلاثينيات.. اذن كيف كانت تدار شؤون الامانة واعمالها انذاك.. واهم المشاريع الخدمية التي انجزها الدفتري لبغداد حينذاك؟ يقول: توليت امانة العاصمة في حياتي مرتين وكان ذلك في اوائل الثلاثينيات وبلغ مجموعها خمس سنوات وكنت اشعر خلال ممارستي لاعمالها بشعورخاص يربطني بها وربما كان سبب ذلك يكمن في الجذور التاريخية لاسرتنا حيث ان جد والدي ابراهيم الدفتري هو اول من تولى رئاسة بلدية بغداد عند بدء تأسيسها في عام ١٢٨٥هـ -١٨٦٨م في عهد ولاية مدحت باشا وبقي يشغلها تسع سنوات حتى وفاته، وكانت بلدية بغداد تشغل نفس مبنى امانة العاصمة اليوم، ومازالت احدى الغرف التي بنيت في عهده قائمة لحد الان وسقفها مبني على شكل (طاق عكادة) ويشغلها الآن. النائب الفني لامين العاصمة. على ما اظن.

وبعد مدة وجيزة تولى رئاسة بلدية بغداد جدي اسماعيل الدفتري وهو ابن ابراهيم الدفتري ثم والدي فؤاد الدفتري الذي كان محافظا لبغداد وكانت وظيفته تشمل رئاسة البلدية ايضا.

وبطبيعة الحال عندما توليت هذا المركز في عهد الملك فيصل الاول، كانت الدولة العراقية في بداية تكوينها، ميزانيتها محدودة وامكانياتها ضعيفة وفي ضوء هذه الظروف سعيت الى القيام باعمال عديدة تتطلبها المصلحة العامة واستحداث ما يسد حاجتها وقد لاقيت في سبيل ذلك صعوبات شتى اذ كانت امانة العاصمة مرتبطة بوزارة الداخلية واستطعت ان اتغلب على اكثرها بمعاونة المسؤولين الذين كنت اعرض عليهم الفكرة اولا فتقر ولا اجد اي معارضة بعد ذلك. وقد كان يساعدني رئيس المهندسين حينذاك المرحوم علي رأفت.

بغداد.. من الازقة الى الشوارع الكبيرة

×وكان ابرز تلك الاعمال فتح شارع (غازي) الذي يحمل اليوم اسم شارع الكفاح وقد واجهت المصاعب الكثيرة في سبيل شقه لان طريقه يمر بين ازقة مزدحمة بالسكان مما يتطلب القيام باجراءات الاستملاك لتلك الدور وتعويض اصحابها.

الا انني لم الق مثل هذه الصعوبة بالنسبة لشارع الصالحية في الكرخ لانه لا يمر وسط مناطق مزدحمة بالسكان انذاك. وقد عكفت على دراسة مشروع فتح هذا الشارع الذي كان قد تقرر تحديد عرضه من قبل مجلس الامانة والامين السابق بمقدار (٦٠)قدم فوجدت فيه عدة انحناءات الامر الذي اوجب ايقاف العمل به وزيادة عرضه وازالة الانحناءات الموجودة فيه (وكان ذلك ممكنا اذ ان بغداد لم تكن خاضعة لتصميم مصدق كما هي عليه الآن) لاعتقادي بان مثل هذا الشارع المهم الذي يوصل بين بغداد والطرق المؤدية الى كثير من المحافظات وكذلك طريق الشام الذي كان مدخلا للقادمين من الخارج، يجب ان يكون اكثر عرضا مما تقرر بالسابق. وقد رحبت الحكومة بهذا المشروع، وايده وزير الداخلية وباشرنا باعداد الخرائط واستكمال التصاميم.

شارع الصالحية اول شارع ذي ممرين في بغداد!

×وهذا الشارع هو اول شارع في بغداد ذي ممرين واحد للذهاب والآخر للآياب تتوسطهما اشجار النخيل، لذلك كان هذا الشارع في ذلك الوقت يعتبر من اجمل شوارع بغداد يغص بالمارة ويزدحم بالناس الذين يخرجون اليه للنزهة والتمتع بالمناظر الجميلة لاسيما بعد ان شيدت على جانبيه المقاهي والكازينوهات.

×ومن الامور الاخرى التي تمت في فترة اشغالي امينا للعاصمة هي بناء بهو الامانة، وقد كانت هناك حاجة ماسة اليه لان الحكومة كانت تحتار بضيوفها الرسميين في العثور على المكان الملائم لاقامة الحفلات الرسمية لهم وتضطر الى اقامتها في الفنادق، وهي فنادق متواضعة اكثرها لا يليق بمثل هذه المناسبات فاتجه التفكير الى انشاء بهو الامانة لتقام فيه الحفلات المذكورة.. وقد عجل في تنفيذ هذه الفكرة زيارة (ولي عهد السويد) لبغداد حيث ضوعفت الجهود للاسراع بانشائه وكان من مميزاته في ذلك الوقت انه اول قاعة مزودة بالتدفئة المركزية، واعتقد انه لايزال قائما لحد الآن والحق مؤخرا بوزارة الدفاع.

ابراهيم شندل.. بدلا من "فيشر" الاجنبي

×ولقد حاولت جهدي ان احضر الاعمال في امانة العاصمة بالموظفين العراقيين بدل الانجليز وهذا ما حدث عندما انتهت فترة خدمات مدير الاطفاء (فيشر) البريطاني الجنسية وقد حاولت وزارة الداخلية تجديد خدمته، الا انني رفعت تقريرا الى الوزير مقترحا توليه هذه الوظيفة لموظف عراقي هو معاون مدير الاطفاء مشيدا بكفاءته وقدرته على العمل وبالفعل تم تعيين السيد ابراهيم شندل واصبح مدير الاطفاء عراقيا منذ ذلك التاريخ.

الملا عثمان الموصلي يتعرف على الناس باللمس

×هل من ذكريات طريفة تربطك ببغداد او باحد شخصياتها..او احد شواهدها العمرانية التي مازالت قائمة لحد الآن؟

كلما امر بمدخل السراي وهي القبة التي لا تزال قائمة، اذكر حادثا لا يخلو من متعة، اذ بينما كنت اسير هناك رأيت من بعيد الملا عثمان الموصلي الشخصية المعروفة في كل من بغداد والموصل واستانبول، وقد كان ضريرا كما هو معروف ويتعرف على الاشخاص من تلمسه ايديهم وكان يسير معه عبد الجبار خان زاده رئيس كتاب الاوقاف حينذاك فاشرت عليه من بعيد الا يخبر الملا عثمان بمجيئي، وتقدمت الى الملا وحييته مادا يدي لمصافحته، فاخذ يتلمسها محاولا معرفة صاحبها كعادته، الا انني بادرته بقولي: (ان هذه اليد لم يسبق لها ان تشرفت بمصافحتك ولكن لها حبا موروثا انتقل من السلف). فبقي ساكتا وبدا بتحريك رأسه يمينا وشمالا كعادته وما هي الا لحظات حتى بادرني بهذين البيتين وهو لا يزال ماسكا يدي:

اوراق اخلاصي اذا ما كتبت
تنشر في الآفاق حسن الاسطر
كلها محفوظة في مهجتي
ومهجتي عند فؤاد الدفتري

مشيرا بذلك على انني ابن فؤاد الدفتري.

وهذا ان دل على شيء فهو يدل على ذكائه المفرط وقابليته على ارتجال الشعر.

مجلة امانة العاصمة ١٩٧٨

السقاءص

حفلة المصالحة بين الرصافي والزهاوي

((اللمبجية)) و ((السقا)) شخصيتان بغداديتان كان حضورهما واضحا في الحياة الاجتماعية..

في ولاية مدحت باشا تأسست بلدية بغداد!

بواكير اهتمامات محمد مهدي البصير السياسية ١٩١٤-١٩١٨

علي كريم الزبيدي

عُني محمد مهدي البصير بالسياسة في وقت مبكر من حياته ، فقد ظهرت بوادر ميوله السياسية منذ اندلاع الحرب العالمية الأولى. في صيف سنة ١٩١٤. بين دول تحالف الوسط ، ألمانيا وإمبراطورية النمسا - المجر ودول الوفاق الودي ، بريطانيا وفرنسا وروسيا. ان نشوب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م ، جعل بريطانيا تتخذ كل الأحتياطات والأستعدادات اللازمة لحماية مصالحها في الخليج العربي. وتحقيق أطماعها في العراق ، ولتنفيذ الخطط الموضوعة بهذا الشأن منذ أمد بعيد. لذلك قررت الحكومة البريطانية ارسال قوة حربية الى الخليج العربي ، للدفاع عن منشآت النفط في عبادان ، وللتمهيد لعمليات انزال قوات عسكرية تالية ، ولضمان ولاء المشايخ المحلين.

كما أخذت فكرة ارسال حملة عسكرية الى العراق تتنامى شيئاً فشيئاً لدى الحكومة البريطانيه بعد ان تعاظم التأكيد من احتمال دخول الامبراطورية العثمانية الحرب الى جانب المانيا.

لم تكن السلطات العثمانية غافلة ، عما يجري في العراق ، لاسيما في منطقة الفرات الأوسط ، فقد استدعت السلطة الحاكمة عدد من الشخصيات الوطنية المشكوك بولائهم للدولة في أوائل سنة ١٩١٤ ، إلى بغداد ، لغرض المداولة معهم ، فلما قدموا إليها ، ألقت القبض عليهم وزجتهم في أعماق السجون ، ولم تفرج عنهم حتى إعلان الحرب. كما حاولت الاستعانة بعدد من الشخصيات السياسية البارزة ، لغرض الترويج لها إعلامياً ضد البريطانيين ضمن منطقة الفرات. وأرسلت وفداً ضم عدداً مهما من الشخصيات الى هذه المنطقة ، وذلك لتهدئة الوضع القلق ، ولحث الناس على الجهاد ضد البريطانيين ومناصرة العثمانيين ، تألف الوفد من محمود النقيب نجل عبد الرحمن النقيب " نقيب اشرف بغداد "، رؤوف الامين ، جعفر أبو التمن . واختار أعضاء الوفد مدينة الحلة مركزا لهذه المهمة ، وعقد أعضاء الوفد عدة اجتماعات في دار محمد القزويني . وفي دار الأخير تعرف محمد مهدي البصير على جعفر أبو التمن شخصيا ، فكان هذا اللقاء سبباً في قيام صداقة طيبة وتعاون وطني مشترك.

بدأت الحملة البريطانية على العراق ، بهجومها على الفاو ، في ٦ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ م . بقيادة الجنرال ديلامين (W. S delamain) واستولت عليه بسهولة ويسر ، ثم تحرك ديلامين نحو منطقة عبادان الأيرانية ، حيث توجد منابع النفط ، ومؤسساته ذات الأهمية البالغة بالنسبة للمجهود الحربي البريطاني ، فأنزل جنوده في منطقة السنية ، وبعد عدة اشتباكات احتل البريطانيون مدينة البصرة في ٢٢تشرين الثاني سنة ١٩١٤م ، وتم رفع العلم البريطاني عليها ، بعد انسحاب الجيش العثماني الى القرنة وما ورائها.

أما العراقيون ، فقد هبوا ، يدافعون عن بلادهم مع العثمانيين ، وكانت النزعة الاسلامية تشد أزر الجيش العثماني ، وكان الشعراء مندفعين مع هذه النزعة ، التي يتزعمها رجال الدين في النجف وكربلاء وغيرها من المدن المقدسة ، يحثونها بمشاركتهم الواسعة في أعمال الجهاد ضد البريطانيين المحتلين ، بالرغم من استبداد العثمانيين ، وبطشهم بالعرب ، لذلك نجد الشعراء مضطرين – بدافع الدين–الى مدح السلاطين العثمانيين ، والوقوف الى جانبهم ، واخذوا يباركون لهم انتصاراتهم في معاركهم كمعركة((الدردنيل)) التي دارت بينهم وبين الأسطول البريطاني في ربيع سنة ١٩١٥م . وانبرى الشعراء في تلك الحقبة ، ينشدون أشعارهم في جريدة صدى الاسلام ، ويعلنون ابتهاجهم وتأيدهم للدولة العثمانية ، ولقواد الجيش. فقد امتدح جعفر الحلي الشاعر المعروف ، السلطان عبد الحميد في فتحه لليونان بقصيدة قائلاً :.

لك طأطأت دول الظلال رقابها
قدها فسيفك قد اذل صعابها
فاليوم صار الدين فيك مؤيداً
ولدولة الاسلام كل هابها
فيكم بنى عثمان دولة احمد
سميت بقرع الفرقدين ثيابُها

في حين نجد الشاعر زاير، الذي يعتبر من كبار الشعراء الشعبيين في العراق ، قد استنكر تراجع العثمانيين عندما هاجمت القوات البريطانية مدينة البصرة .

أما محمد مهدي البصير ، وبحكم نشأته الدينية ، فقد نزع في أول الأمر في شعره ، نزعة دينية اسلامية ، حيث سار في الأتجاه الذي سار فيه شعراء عصره ، وهو تأييدهم للدولة العثمانية في حربها ضد بريطانية وحلفائها ، ونرى هذا الأتجاه واضحاً في شعر البصير السياسي قبل الثورة .

ففي أوائل ربيع الثاني سنة ١٣٣٤هـ / شباط سنة ١٩١٥م . نظم البصير قصيدة عنوانها ((الى بطل العثمانيين)) أنور باشا قال فيها :.

عقدالاله لواك فهو مظفر
بالنصر مابين الممالك ينشر
واطال عنق الدين سيفك اذغدا
في حدة باع العدو يقصر
ياصائنا تاج الخلافة والذي
فيه اقيم سريرها والمنبر
الخليفة من يكون محكما
بين العباد ومثلك المستوزر
كم ظلمة للظلم انت جلوتها
وبنور عدلك اشرقت ياانور

لقد امتدح البصير أنور باشا وزير الحربية العثماني ، وعدّه حامياً للدين ، وصائناً لتاج الخلافة ، ومؤمن الخائف من أبناء الأمة ، وبذل جهدهُ في سبيل الاصلاح ، ورفع الظلم عن ابناء الشعب . وكان في اعتقاد الكثيرين ،أن هذه الحرب هي حربٌ دينية بين الاسلام والشرك ، والى هذا المعنى أشار البصير مخاطباً أنور:.

كم وقفة لك دون ملة أحمد
فيها برأيك بل بسيفك تنتصر
في مشهد فيه يصان دم الهدى
ودم الظلال به يطل ويهدر
قدت الجيوش شعارها دين الهدى
فمهلل يوم اللقا ومكبر

وكانت الدولة العثمانية تحارب الى جانب المانيا ، ضد بريطانيا وفرنسا وروسيا ، ولذلك اشار البصير فقال :.

امكافح الدول الثلاث بعسكر
يغنيك عنه من المهابه عسكر
زاحفتها والدهر يخفق قلبه
والشمس في ليل العجاج تكور
فرددتها نكساً على اعقابها
عجلاً باذيال الملاحم تعثر

ونظم البصير قصيدة أُخرى في هذه الحقبة، اشار فيها الى معركة الدردنيل قائلاً:

ولئن انت للدردنيل فحاولت
أمراً به عنه تقل وتصغر
فلقد درى الاسطول كيف تذود
عنه المدافع بالصواعق تمطر
ارست على فلل ممنعة الذرى
من حوله زهر الكواكب تزهر
غرقاً اقام امام عاصمة الهدى
عظه سواة فيه عنها يزجر

وبهذا يكون البصير قد نظم اولى

قصائده السياسية في هذه الحرب ، والتي بارك فيها انتصارات الجيش العثماني . فجمع البصير بين الشعر والسياسة . ثم أبدى البصير أستياءهُ واستغرابهُ في الوقت ذاته ، لإندلاع هذه الحرب ، حيث عبر عن هذا الأستياء وهذا الاستغراب بقصيدة مطلعها:.

يأخي مابال هذه الحرب عمت
فمن دان بها يشقى وناء
وفيم يسودنا فزع ويأس
كأن الكون اذن بالفناء

إلا ان الحملة باءت بالفشل ، إذ اضطر الجيش البريطاني الى الانسحاب والعودة الى الكوت ، فحاصر الجيش العثماني عدة أشهر اضطر بعدها الى الاستسلام يوم ٢٩ نيسان سنة ١٩١٦م . ولم يتمكن البريطانيون من احتلال بغداد إلابعد مضي سنة أخرى . وقد أوضح البصير ما أصاب البريطانيين من خزي ، وما فعل بهم الحصار،وغدت وجوه المسلمين مشرقة المحيا ، ناظرة غبطة وسرورا ، فقال في قصيدة له :.

انا رحمى بغداد قد جاء انور
بوجه من الأقمار أبهى وأنور
اتى وهلال النصر وسط لوائه
يهلل بالبشرى له ويكبر

وعندما وصل أنور باشا بغداد . امتدحه البصير ذاكراً نصر المسلمين ، ومعتبراً زيارته جهاداً في سبيل الله والمسلمين ، واشراق بقدومة النصر الذي يرافقه أينما يرتحل ، ثم قال له البصير :.

" انك جئت الى بغداد لكي تروع الانكليز والروس ، ولكن الجيش الانكليزي جاءك أسيراً ذليلا طائعاً " . وهي اشارة الى معركة الكوت .

اتيت لردع الانكليز وروسها
فوافاك جند الانكليز يؤسر
ثم يصف البصير البريطانيين ، وحال المسلمين قائلا :.
اتيت وعيش الانكليز مكدر
وعيش بني الاسلام ريان اخضر

كما شهدت مدينة الحلة في السنة نفسها ، أحداثاً مهمه ومروعة ، لن ينساها الحليوّن، وهي أحداث مايسمى بـ ((واقعة عاكف)) وفي الحقيقة ان لعاكف في الحله واقعتين : بدأت الواقعة الأولى يوم ١٩١٥/٨/٢٣م ، بالعصيان الذي أعلنه الحليون ، ضد الحكم العثماني ، وكان سبب ذلك ، ان جنود الدرك العثماني ، أخذوا يبحثون في الشواع والدور السكنية عن الفارين من جبهة القتال ، فقتل على أثر ذلك أحد الجنود أثناء المطارده ، فقامت الحكومة بارسال قائمقام الى الحلة والذي يعرف ((بالعصيمي)) وهو من زعماء المنتفك ، وكان موالياً للعثمانيين ، كمحاولة منها للقبض على القاتل وضبط النظام . لكنه لم يفلح في تحقيق ذلك ، واشتد تبادل اطلاق النار بين الجنود وأهالي الحلة . مما اضطر عاكف بك قائد القوات العثمانية في الفرات الأوسط – وكان معسكره في الكفل– الى دخول الحلة بقواته ، ثم استدعى جميع مختاري المحلات ووجهائها ، وطلب منهم تزويده بأسماء جميع الفارين من جبهات القتال ، وأمهلهم مدة أربع وعشرين ساعة. وفي يوم ١٩١٥/٨/٢٧م . نشبت معركة دامية بين أهل الحلة والقوات العثمانية ، قتل على اثرها عدد كبير من الجنود العثمانيين ، كما هاجمت العشائر الحلية القريبة من المدينة ، الحامية العسكرية العثمانية الكائنة بالقرب من تل الرماد ، وقتلوا عدداً آخر من الجنود العثمانيين ، وانتشرت جثثهم في اكثر من شارع وفر الباقون ، وعندما رأى عاكف بيك ، تعاظم قوة اهل الحلة وابناء العشائر، طلب السلم وقبل توسط محمد القزويني ، لانهاء القتال بين الطرفين . ان هذه الأحداث هي التي تسمى بواقعة عاكف الأولى.

كتمت السلطات العثمانية غضبها وسخطها على أهل الحلة ، وما ان انتصرت في احكام الحصار على القوات البريطانية في الكوت ، حتى ركب الغرور والغطرسة القيادة العثمانية ، فأخذت تتحين الفرص للانتقام من اهل الحلة ، فعيّنت في أواسط سنة ١٩١٦م ، مصطفى بيك المميز ، قائمقاماً جديداً لمدينة الحله ،وحاول مصطفى ان يعيد للحكومة العثمانية هيبتها ، فسلك مع أهل الحله سلوكاً مشيناً . وعلى أثر المشاجرة العنيفة ، التي وقعت بينه وبين الحاج علي بن الشيخ حسن ، أحد وجهاء الحلة في دائرة القائمقام ، أرسل الأخير، جماعة من أتباعة المسلحين الى داره الواقعة في محلة الأكراد ، فأخرجوه منها بالقوة وساروا به في شوارع الحلة ، ثم عبروا به النهر الى الجانب الآخر من الحلة ، حيث أركبوه القطار ، الذي كان يعمل بين بغداد والحلة واجبروه على مغادرة الحلة. أحدث هذا العمل ، ردة فعل قوية لدى السلطات العثمانية ، فأغارعاكف مرة أخرى على الحلة ، من معسكر بسدة الهندية في ١٧ محرم سنة ١٣٣٥هـ/١٤ تشرين الثاني سنة ١٩١٦م ، وعسكر خارج الحلة ، وأرسل الى وجهائها يطلب اليهم ان يسمحوا له المرور بالحلة ، وهو في طريقه الى المناطق الجنوبية بمهمة عسكرية ، وهنا استعمل عاكف المكر والخديعة مع أبناء الحله . وعلى أثر هذا الطلب اجتمع وجهاء الحلة في دارمحمد القزويني ، ودار بينهم نقاش حول الموافقة أو عدم الموافقة عليه . وأخيراً اتفقت الكلمة على السماح لعاكف وجيشة المرور بالحلة ، وخرج أهل الحله لاستقباله ، حيث التقى الطرفان في "مشهد الشمس" وأمام ذلك الجمع ، تحدث محمد القزويني مع عاكف ، متعذراً عما حدث ، فلم يرد عليه عاكف بكلمة واحدة ، وكانت علامات الحقد والغضب ظاهرة على وجهه ، فأحس الناس بالخطر ، ثم ان عاكف من دهائه لم يضرب أول الأمر حصاراً على الحلة ، بل ترك طريق النجف مفتوحاً ، ليسهل هروب بعض الشباب وسكانها المحاربين ، ولما رأى عاكف ان الحلة قد فرغت من الشباب المقاوم ، أحاط بقواته جموع الناس، ومنعهم من الدخول اليها أو الخروج منها . ثم أعلن عاكف ، إنه سيضرب فياليوم التالي محلات الجامعين والطاق وجبران بالمدافع ، فأنتقل مابها من الناس الى المحلات الأخرى ، ونصّب عاكف مدافعه على تل الرماد ، وأخذت تطلق قذائفها نحو ساعتين .

دخل عاكف بجيشه الى الحله ، وفعل فيها الأفاعيل من الحرق والهدم والسلب والقتل ، وشنق عاكف من أهل الحلة (١٢٦) رجلاً، بينهم رجال شديدو الاخلاص للحكومة وواسعو الجاه والثروة ، وعدد من المساكين والأبرياء ، وكان من ضمنهم صادق عبد الحسين شهيب ((عم البصير)) الذي شنق وعلقت جثتهُ مقابل الجسر . وزاد عدد شهداء مدينة الحلة على (١٥٠٠) شخص في هذه الواقعة. ونفى عاكف جماعة كبيرة من أهل الحلة الى ديار بكر، من بينهم أطفال وشيوخ ونساء طاعنات في السن ، بقصد التنكل والتعذيب ، ومن بين هؤلاء من ارجعوا الى الحلة من بغداد ولم يذهبوا بهم الى ديار بكر لشفاعة حصلة لهم ، أما الباقون ، فسيقوا كالأغنام مشياً على الأقدام ، فمات بعضهم في الطريق من شدة الأعياء والجوع والضرب المبرح.

وقد القيت بمناسبة تابيين السيد محمد القزويني ، خطب وقصائد شعرية ، نددت بالواقعة ، وكان أبرز هذه القصائد قصيدة محمد مهدي البصير ، فقد عاش البصير أحداث هذه الحادثة المؤسفة ، وقد رأى من أهوالها ما رأى .يارب ما ذنب اطفال تعذبهم

يدا خسيس لئيم الطبع نحام
يحيا بجانبهم والمال يغمره
ولا يعيشون الا عيش ايتام

أما في بغداد ، فقد أخذت سلطات الاحتلال البريطاني على عاتقها ، مهمة اصدر العديد من الصحف والمجلات ، وذلك بقصد احتكار وسائط التأثير في الرأي العام ، فأوقفوا جريدة الزواء عن الصدور .وقاموا بأصدار جريدة العرب في الرابع من تموز سنه ١٩١٧. ومجلة دار السلام .

أما الشعراء ، فقد وقفوا من احتلال بغداد مواقف مختلفة ، فقسم منهم ندب العثمانيين وبكى عليهم والمهُ فراقهم ، مدفوعين بدافع الدين ، والوفاء العربي الاسلامي ، وقسم آخر أذهله هذا الفتح ، فحار في أمره ، فلم ينظم شيئاً من الشعر ، أي انهُ وقف موقف المحايد ، ولعلهُ خشي عودة العثمانين ، أو ان الاحتلال البريطاني لم يكن مرغوباً به ، لانهُ احتلال أجنبي ، ولأنه مستعمر لا تربطهُ أي رابطة بالعراقيين ، دخل البلاد بالحديد والنار والدم ، وقلب الحياة العامه رأساً على عقب.(٥٦) وأخذ بعضهم الاخر ، ينشر شعره متخفياً تحت أسماء مستعاره ، ومن تلك الأسماء ((ابن ماء السماء)) و ((ابن الرثاء)) و ((ابن العرب)) و((ابن الرثاء)) و ((ابن العراقيين)) و ((ابن السليقة)) وغيرها من الأسماء المستعارة التي عبرت عن تقلقل الوضع السياسي وغموض الأحداث .

أما محمد مهدي البصير، فقد نشر شعره في جريدة العرب باسم ((ابن بابل)) و ((ابن السلام)) وفي مجلة دار السلام باسم ((ابن بابل)) وأحياناً ((البابلي)) وظل ينشر شعره متخفياً ، الى ان ظهر اسمه الصريح في مجلة دار السلام . أخذ محمد مهدي البصير، يهاجم السياسة التي انتهجتها الحكومة العثمانية ،

والتي أدت بها إلى الانحطاط والانقراض التدريجي ، بعد ان تحكم فيها النزاع على العرش ، وتلاعتب فيها الأهواء ، حتى أصبحت غير قادرة على مواجهة أعدائها ، ذلك لما ساد فيها من جور وظلم واستبداد ، وهذا ما عبرت عنه قصيدة ((النسيم والقمر)) :.

فلما تدلت الى الانحطاط
وساق البوار اليها القدر
تخطى النزاع الى عرشها
وما يسوى التاج منها عثر
فكل يريد بها مذهبا
وكل يزج بها في خطر
فجار الامير وخان الوزير فما من معين
ولا من وزر.

ثم انتقد البصير، سياسية التتريك ، التي سلكها حزب الاتحاد والترقي، الضيقة الأفق والتي استهدفت تتريك العناصر غير التركية ، ومقاومة طموحها للاستقلال الذاتي ، والحفاظ على شخصيتها وتراثها والتنكر لحقها في تقرير مصيرها. حيث لجأت الى ضرب العناصر التي ترفض هذه السياسة ، غير مراعين لحقوق الشعوب التي صبرت على جورهم ، والتي لم يكن صبرها إلا حفاظاً على الرابطة الاسلامية . ومن قصيدة له يؤكد البصير ذلك قائلاً:.

صبرنا على جور اعدائنا
لحفظ الديانة لاعن رهب
ولكنهم قوضوا مجدها
لتبنى لهم غاليان الرتب
وعادوا لعنصرنا يضربون
رقاب بني الشعب كي ينشعب

الى ان يقول :.

سل الاتحاد ين كيف تحكمو
بحرية يستعبدون بها الحرا
فكم غمطوا حقا وكم اثروا هوى
وكم نكروا عرفا وكم عرفوا نكرا

ونظم البصيرعلى لسان ((انور)) قصيدة عنوانها ((خطاب انور لتركية)) قال فيها:-

رجوت بموقفي هذا فوزا مبينا
فسقت لك العذاب به مهينا
اذا الدينارا اسمعني رنيناً
فد يت لصوته منك الانينا
اصبت رضا قيصري المفدى
فأهون بلرجال الساخطينا
اقمنا للسياسة فيك سوقاً
به (الالمان) كانوا مشترينا
فأرخصنا لهم ملكاً نفيساً
وكم بعثوا لنا علقاً ثميناً

وأشار البصير في هذه القصيدة الى نهاية الحرب ، والى القائد الألماني المشهور ((فردينانند)) و ((غليوم)) امبراطور المانيا، التي هزمت مع العثمانيين وكل ذلك على لسان((انور)) فقال :.

وحين رايت ملك عاد نهباً
تنازعه جيوش الظا فرينا
ومزق جيش فرديننذ حتى
تساقط بين ايدي الزاحفينا
وقد ملئت حشا غليوم رعبا
بكسر جنوده المتقهقرينا
تركت عليك سيطرتي لأني
رأيت بك العدى متسيطرينا
بخطتي اعترفت لديك حقا
لاني من بنيك الصاد قينا

ويضيف البصير في قصيدته ((عبر الأيام)) أو ((مصير غليوم)) قائلاً :.

اما فقد الجبار غليوم عرشه
وقد زحمت هام السماء مناكبه
رجا ان يكون الكون طوع بنانه
مشارقه تعنو له ومغاربه
فسعّر حرباً لو اراد اجتنابها
لما وقع الشر الذي هو جالبه

وبهذا نجد إن البصير، قد انقلب من مؤيد للعثمانيين ، الى ناقم ساخط يسخر من ((انور باشا)) الذي مدحه بالأمس ، ويرسم له صورة مشوهة ، غير التى رأيناها في قصيدته ((الى بطل العثمانيين)) فينتقد انورباشا في إنحيازه الى المانيا ، ويعتبره قد باع دولته للألمان في سوق المتاجره ، ولاهم له إلا جمع المال وإرضاء قيصرهُ الألماني.

وقد أشار البصير، الى ماقدمه العرب من مساعدة ، للبريطانيين في حربهم على الدولة العثمانية في قصيدة له قائلا :.

لو انصفوك لحرروك لأنهم
ربحوا قضيتهم بظل لواكا
نقضت مطامعهم صداقتك
التي من أجلها عقدت وهم أعداكا (٧٣)

وحينما انكشفت مكائد الحلفاء ، ودسائسهم للعرب عامة والعراقيين خاصة ، أصابهم اليأس واعتراهم القنوط ، ويبدوا ان البصير ممن انخدع بهذه الوعود البراقة في أول الأمر ، ولكنهُ بعد ان تبين لهُ زيفها وبطلانها ، وقف من الاحتلال البريطاني موقفا مضادا ، اتخذ شكل المعارضه السياسية. فنظم البصير قصيدة ، عبر فيها عن هذه الخيبة ، التي شعر بها مثلما شعر بها الآخرون ،

وهي قصيدة رمزيه جاء فيها :.

اناحر لولا حكومة سحر
جهزت لي بالاعين النجل حملة
زعمت انها سلام ونور
بيد اني وجدت نارا مطلة

ومن القصائد الرمزية التي اشتهرت له ، قصيدة ((ايقاض الرقود)) التي بعث بها البصير من الحله الى ((مجلةاللسان)) وهي تعبرعن الخيبة المرة التي شعربها العرب ، ازاء موقف البريطانيين منهم ، بعد العهود التي قطعوها لم في الاستقلال .

ياصبا هاك من دموعي طلة
فلعل الهوى يرق لعلـــه
انا مستعبد كما يشتهي الحب
فهل انت في الفضاء مستقله

بغداد ١٩١٤

انقلاب بكر صدقي 1936 واليسار العراقي

صفحات مطوية

ماهي صلة جماعة الاهالي بالشيوعيين؟

استمر الطوق الذي فرضته وزارة ياسين الهاشمي مفروضاً على الشيوعيين حتى سقوط الوزارة في ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦، اثر انقلاب قام فيه الفريق بكر صدقي، بعد تحالف القوى العسكرية متمثلة بقائد الانقلاب بكر صدقي والعقل المدبر للانقلاب حكمت سليمان وقوى مدنية معارضة للحكومة متمثلة بجماعة الأهالي بقادتها البارزين جعفر ابو التمن وكامل الجادرجي وحكمت سليمان، الذي الف الوزارة الجديدة .

لم يكن من السهل على الشيوعيين العراقيين اتخاذ موقف محدد من الانقلاب والوزارة الجديدة. فقائد الانقلاب بكر صدقي، هو نفسه صاحب الفضل الكبير على الحكومة العراقية في اخماد الحركات العشائرية في الرميثة وسوق الشيوخ عام ١٩٣٥، هذه الحركات التي ايدها واسهم في بعضها الشيوعيون . وان حكمت سليمان العقل المدبر للانقلاب ورئيس الوزراء الجديد، هو نفسه وزير الداخلية الذي اصدر اوامر القضاء على الحركات العشائرية بشدة كبيرة جداً .

د. مؤيد شاكر الطائي

على الرغم من ذلك دعا الشيوعيون الى مساندة الانقلاب الذي اسقط وزارة الهاشمي التي ضيقت عليهم وطاردتهم . وجاء تسلم قادة جماعة الاهالي مناصب مهمة في الوزارة الجديدة،دافعاً للشيوعيين في تأييد الانقلاب اذ وضع في الحسبان التقارب الذي حصل بين جماعة الاهالي والشيوعي قاسم حسن في مطلع ١٩٣٦،ودعوة الكومنترن في اجتماعه عام ١٩٣٥ جميع الاحزاب الشيوعية لاقامة جبهة شعبية معادية للفاشية على أساس الجبهة العمالية الموحدة، ودعوته لشيوعيي العراق إلى تكوين حركة جماهيرية وطنية تحررية ثورية تنصهر فيها جميع العناصر الوطنية . لذا سارع الشيوعيون الى مساندة الانقلاب منذ ايامه الأولى واندفعوا الى تحريك الجماهير لتأييده. كما سارعوا الى اصدار منشور بأسم الحزب الشيوعي العراقي، في الاول من تشرين الثاني ١٩٣٦ اعلنوا فيه تأييد الانقلاب،ونظموا بالتعاون مع جماعة الاهالي عدداً من المظاهرات المؤيدة للانقلاب في مدن مختلفة كان اكبرها المظاهرات التي جرت في بغداد والبصرة،فضلاً عن المظاهرة التي قادها يوسف اسماعيل في بغداد في ٣ تشرين الثاني والتي ضمت طلاب كليات الحقوق والطب ودار المعلمين العالية،وانتهت في جامع الحيدرخانه حيث القيت خطب تأييد الانقلاب.ونظم يوسف متي في بغداد ايضا مظاهرة تأييد اخرى ضمت عمال البناء واعداد من الكادحين من الكرادة الشرقية، انطلقت نحو شارع الرشيد وانضم اليها الاف المتظاهرين، وحمل الشيوعيون فيها شعارات عديدة مثل " الخبز للجياع " و" تسقط الفاشية المجرمة " وانتهت ايضا في جامع الحيدر خانه، حيث التقت بالمظاهرة الاولى . وشهدت البصرة تظاهرات مماثلة قادها غالي زويد .

كانت شعارات هذه المظاهرات كفيلة بإثارة الوزارة القائمة واعتقال يوسف متي عدة ايام بعد احتجاج الوزير الايطالي المفوض في بغداد .

ازداد الشيوعيون تأييداً للوزارة بعد اعلان منهاجها الذي تضمن السعي لاعمار الاراضي وتوزيع الاميرية منها غير المملوكة على ابناء البلاد وفق المصلحة العامة،والقيام باصلاحات عديدة اخرى لاسيما في مجال الزراعة والتجارة والصناعة ، واتسعت آمال الشيوعيين مع اعلان الوزارة السماح لبعض الكتب والمطبوعات الماركسية بالدخول الى العراق، بعد ان منعتها الوزارة السابقة بحجة ترويجها مبادىء شيوعية والاضرار بالمصلحة العامة .

بكر صدقي

ازدادت علاقة الشيوعيين قوة مع جماعة الاهالي، وبخاصة بعد ان طالبت جريدة الاهالي لسان حال الجماعة، اطلاق سراح السجناء السياسيين ،في وقت لم يكن في سجون العراق،سجناء سياسيين غير الشيوعيين. اذ سبق للوزارة الجديدة ان افرجت عن جميع السجناء السياسيين ماعدا الشيوعيين. وقد تم اطلاق سراح جميع السجناء الشيوعيين . فكان من الطبيعي ان يندفع الشيوعيون باتجاه دعم ومساندة جماعة الاهالي(.وينتموا الى "جمعية الاصلاح الشعبي " التي اسستها جماعة الاهالي في تشرين الثاني ١٩٣٦، وتألفت هيأتها المؤسسة من كامل الجادرجي ويوسف ابراهيم وعبد القادر اسماعيل وصادق كمونه ومكي جميل ومحمد صالح القزاز وعبد الله سالم . وجاء في منهاجها الذي نشرته في ١٥ تشرين الثاني ١٩٣٦ " السعي للقيام باصلاح سياسي واجتماعي واقتصادي يعود نفعه على عامة افراد الشعب ويحقق تقدمه ويقضي على الاستغلال، والمطالبة بنهوض القطاع الزراعي وخاصة فيما يتعلق باحياء الاراضي الموات وتوزيعها على الفلاحين .. والغاء القوانين الجائرة وسن قوانين تكفل التقدم الزراعي وترقية الفلاح، وتحقيق مطالب العمال المتمثلة بسن قوانين حماية العمل وضمان حقوقهم وتقدمهم ، وتحديد ساعات العمل بما لا يزيد عن ثمان ساعات يومياً وتشجيع مؤسسات العمال ونقاباتهم" . الامر الذي شجع معظم الشيوعيين على الانتماء للجمعية وحث الشباب والطلاب والعمال والفلاحين نساءً ورجالاً على الانتماء وبذل الجهود لمساندة الجمعية ومواجهة كل ما من شأنه اضعافها .على ان طروحاتها واهدافها تلتقي مع طروحات واهداف الحزب الشيوعي العراقي.

ركز الشيوعيون على أداء دور بارز في شعبة الثقافة والدعاية للجمعية كونها تمثل افضل فرصة للشيوعيين للترويج عن افكارهم ، اذ اصبح يوسف متي وحسن عباس الكرباس كاتبين في جريدة " الاهالي " التي عدت لسان حال الجمعية. وعُرف يوسف متي بمقالاته التي وضع لها عنوان " انا اقول " وتناولت شكاوى الناس وشؤون المجتمع. ،وعمل مهدي هاشم في جريدة "الانقلاب" لصاحبها الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري. وكان جميعهم قد اعرب عن تأييده لجمعية الاصلاح الشعبي (التي اصبح ينظر اليها على انها واجهة علنية للحزب الشيوعي العراقي. وقد رفضت جماعة الأهالي هذا الاتهام مراراً، واكد اعضاؤها انهم بعيدون عن أي نشاط او ارتباط بالحزب .

شجعت الاجراءات التي اتخذتها وزارة حكمت سليمان ولا سيما اطلاق سراح السجناء الشيوعيين ، ثم السماح للمطبوعات الشيوعية بالدخول الى العراق، العناصر الشيوعية ممارسة نشاطها السياسي بشكل ملحوظ ،فسرعان ما عاد الشيوعيون الى نشاطهم وتنظيماتهم بين العمال وهذا ما دفع الوزارة الى تطبيق قانون العمل رقم ٢٧ لسنة ١٩٣٦، الذي شرعته وزارة ياسين الهاشمي الثانية ولم تنفذه ، وقد قام الشيوعيون في سبيل ذلك ومنذ تأليف وزارة حكمت سليمان حتى اواسط عام ١٩٣٧، بعدة اضرابات كبيرة وطويلة في مشاريع مهمة، حتى قدر مجموع عدد الايام التي شملتها الاضرابات بنحو (٢٠٠) يوم اي حوالي سبعة اشهر، وهذا الرقم يزيد اضعاف مضاعفة على مجموع عدد ايام الاضرابات منذ تأسيس المملكة العراقية في ٢٣ اب ١٩٢١حتى قيام الانقلاب .

بدأت الاضرابات في شركة "بلفور بتي" التي كانت تقوم ببناء سدة الكوت اواخر كانون الاول ١٩٣٦، اذ احتج العمال على زيادة ساعات عملهم، وطالبوا بتوفير سيارات تنقلهم الى محل عملهم . واعقب ذلك اضراب عمال معمل "غزل عباس" في النجف اواخر كانون الثاني ١٩٣٧ ، ثم اضراب عمال شركة "باتا" للأحذية في ٨ اذار ١٩٣٧، وكان في مقدمة طلباتهم تحديد ساعات العمل، ومساواتهم في الاجر مع عمال المعامل الاهلية لصنع الاحذية. وفي ١٤ اذار ١٩٣٧ اضرب عمال الميناء في البصرة بتحريض من الشيوعيين، احتجاجاً على انخفاض اجورهم التي لا تتعدى ال(١٤ فلساً)، واستمر الاضراب على الرغم من قساوة اجراءات مدير الموانئ العام البريطاني" العقيد وورد" الذي استخدم اساليب صارمة بحق المضربين حتى اضطرت الادارة الى زيادة اجورهم من (١٤ الى ٥٠ فلساً) كحد ادنى .

دفعت هذه الاضرابات الحكومة الى الاستجابة لمطاليب العمال، وقد رد رئيس اركان الجيش الفريق بكر صدقي على سؤال رئيس تحرير جريدة البلاد روفائيل بطي عن تغلغل الشيوعية في العراق ، بقوله ان العراق خال من الشيوعية وتساءل " اين معاملنا وعمالنا كي تتوغل الشيوعية فينا ؟ " . وكان ذلك حافزاً للشيوعيين بالقيام باضرابات جديدة ، اذ اعلن عمال شركة النفط في كركوك الاضراب اواخر اذار

كامل الجادرجي

مظاهرة في شارع الرشيد

١٩٣٧، تلاه اضراب عمال السكك الحديد معامل الشالجية في بغداد في اوائل نيسان ١٩٣٧، الذي انتهى بعد ان قاد الشيوعيون العمال المضربين نحو السراي، فأستجابت الحكومة لمطاليبهم على وفق قانون العمل رقم ٢٧ لسنة ١٩٣٦ .

شارك الحزب الشيوعي العراقي في مظاهرات ١٦ تموز ١٩٣٧ التي شهدتها بغداد تأييداً للقضية الفلسطينية، واحتجاجاً على مقررات اللجنة الملكية التي شكلتها الحكومة البريطانية للتحقيق في الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٣٦، وكان مقترح تقسيم فلسطين الى ثلاث دويلات ، موضع استنكار شديد في معظم ارجاء الوطن العربي. وفي سياق القضية نفسها قام قاسم حسن بدور بارز في مساعدة القوميين متمثلين بيونس السبعاوي بتهريب السلاح الى ثوار فلسطين بالتنسيق مع الشيوعي الاردني فؤاد نصار.

اما التنظيم الشيوعي داخل الجيش فقد استطاع الشيوعيون ابان وزارة حكمت سليمان بتوجيه من يوسف متي وحسن عباس الكرباس اختراق فوجي المخابرات اللاسلكي الاول والثاني في بغداد وكركوك، ثم امتد النشاط ليشمل الافواج والكتائب الاخرى بشكل واسع . وشكلت لجنة شيوعية عسكرية خاصة عهدت اليها مسؤولية التحريض داخل الجيش، وكانت تأخذ تعليماتها من زكي خيري ويوسف متي . وفي اعقاب اغتيال بكر صدقي في ١١ اب ١٩٣٧، توسع التنظيم اكثر ليصل الى (٤٠٠) جندي وضابط صف.الا ان هذا التوسع كان ينقصه مستلزمات العمل الاساسية مثل السرية التامة والدقة والضبط الحزبي ، والابتعاد عن نظام الخلايا الصغيرة التي لا يتجاوز اعضاء الواحدة (٣-٥) افراد ، اذ كانت الاجتماعات تعقد بصورة موسعة ويحضرها الاعضاء الجدد المدعوون لاول مرة .

كانت هناك عوامل موضوعية وذاتية ادت الى وضع نهاية النشاط الشيوعي في هذهِ المرحلة،كان في مقدمتها اعتقال قادته ، فضلا عن الدور الذي قام به القوميون في تأليب الحكومة القائمة ضد الشيوعيين ومؤيديهم وبخاصة ضد جمعية الاصلاح الشعبي عامة، وفي مقدمة هؤلاء القوميين علي محمود الشيخ الذي انتقد الوزارة في اثناء لقائه بكبر صدقي في وزارة الدفاع بانتهاجها سياسة مشجعة للافكار الشيوعية، الامر الذي دفع بكر صدقي إلى الادلاء بتصريحه المعادي للشيوعية في ١٧ اذار ١٩٣٧، الذي اوضح فيه ان تربة العراق غير صالحة لزراعة الافكار الشيوعية، وان من يحاول زرع هذه الافكار في العراق "كمن يحاول زرع نخيل البصرة في جبال النرويج" ، ولمح باستخدام القوة ضد اي مروج للشيوعية في العراق. وقد اعقب ذلك هجوم بعض اعضاء مجلس النواب ومنهم سلمان الشيخ داود ورفائيل بطي، على جمعية الاصلاح الشعبي، بوصفها واجهة للنشاط الشيوعي في العراق، وتصريح رئيس الوزراء حكمت سليمان داخل المجلس النيابي بان "لا شيوعية في البلاد ولن تكون في البلاد شيوعية" . كما اعلن تحفظه على استخدام كلمة "فقير" كي لا يفهم المقصود منها الشيوعية .فضلاً عن الاتهامات المتوالية لجمعية الاصلاح الشعبي بوصفها واجهة شيوعية ومحاولة اعضائها ابعاد هذه التهمة عنهم، ومنها تصرفات كامل الجادرجي وضغوطه على باقي اعضاء الجمعية لابعاد زكي خيري ويوسف متي عن العمل في جريدة الاهالي ، وقد تزامن ذلك مع اتفاق العناصر القومية مع الحكومة القائمة ضد العناصر اليسارية (الشيوعيين وجماعة الاهالي). وقد ادى الاتفاق الى تقديم اعضاء الجمعية استقالتهم من الوزارة في ١٩ حزيران ١٩٣٧، اثر خلافهم مع رئيس الوزراء حكمت سليمان ورئيس اركان الجيش بكر صدقي بشأن عدد من المواضيع كان ابرزها اعتراضهم على اسلوب القوة في معالجة الحركة العشائرية القائمة في الديوانية ،وقد ادت هذه الاستقالة الى اضعاف التنظيم الشيوعي الذي فقد سنداً قوياً .

ان السبب الجوهري الذي ادى الى ضعف التنظيم الشيوعي يعود الى سوء الممارسات التنظيمية الداخلية وفي مقدمتها عدم قدرة الشيوعيين على تجاوز الخلافات الشخصية ، الذي كانت اسبابه اتباع قاسم حسن ومهدي هاشم وحسن عباس الكرباس، الاسلوب الليبرالي فكراً وسياسة ورفضهم النشاط المستقل وانقيادهم لاعضاء جمعية الاصلاح الشعبي وفي مقدمتهم كامل الجادرجي وحسين جميل ، اكثر من بقية اعضاء التنظيم الشيوعي ، واستطاع قاسم حسن، احتواء مسؤول اجهزة الطباعة وحال دون اصدار الحزب صحيفة تعبر عن وجهات نظره المستقلة، وبقيت في هذه المرحلة وجهات نظر الشيوعيين، وكما اراد قاسم حسن اسيرة اراء ووجهات نظر جمعية الاصلاح الشعبي . وبسبب هذا الانشقاق فشلت جهود الشيوعيين من جماعة زكي خيري في السيطرة على الاضرابات العمالية التي شملت مناطق مختلفة من العراق . كما فشلت في ضم العمال المتظاهرين الى التنظيم، لان قاسم حسن تمكن بواسطة حسن عباس الكرباس من السيطرة على ابرز العاملين في هذه الاضرابات .

في ضوء ذلك اصبح الشيوعيون في موقف صعب،واصبح اكثر صعوبة عندما تم اسقاط الجنسية العراقية عن الشيوعي يوسف اسماعيل واخيه عبد القادر اسماعيل وابعادهما خارج العراق في ١٠ اب ١٩٣٧ اي قبل يوم واحد من اغتيال بكر صدقي. وظل يوسف اسماعيل يتنقل بين لبنان وسوريا وفرنسا حتى انتهى به المطاف عضواً في الحزب الشيوعي الفرنسي، وبقي هناك حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ اذ عاد الى العراق.

قطعات من الجيش العراقي

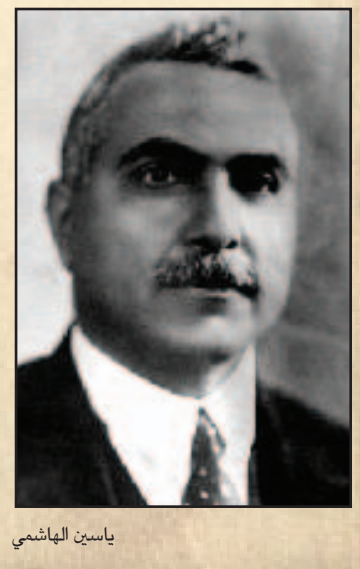

ياسين الهاشمي

حكمت سليمان

جعفر ابو التمن

اظهرت وزارة جميل المدفعي الرابعة (١٧ اب ١٩٣٧ -٢٤ كانون الاول ١٩٣٨) التي شكلت بعد استقالة وزارة حكمت سليمان، تشدداً واضحاً تجاه الشيوعيين، فتم القاء القبض على قاسم حسن . وفي ٦ تشرين الاول ١٩٣٧ سحبت الجنسية العراقية من مهدي هاشم ونفي الى ايران،حيث انضم الى الحزب الشيوعي الايراني(توده) .وبسبب مساوىء التنظيم العسكري واندساس عناصرالاستخبارات العسكرية في صفوفه، تم في ١٨ تشرين الثاني ١٩٣٧ اعتقال (٦٥) شيوعياً اطلق سراح (٤٣) منهم دون عقوبة ، واحيل البقية الى المحاكمة،فحكم على ثلاثة منهم وهم المنظمون العسكريون (عبد الرحمن داود وعلي عامر وضاحي فجر) بالاعدام ثم خفف الحكم الى السجن ١٤ سنة . اما البقية فقد سجنوا لمدد مختلفة تتراوح بين ٣-١٠ سنوات.

وبعد يوم واحد ، سافر نوري روفائيل الى اسبانيا وانضم الى الكتيبة الاممية وخدم فيها برتبة "رئيس عرفاء" في جبهة "كاتالونيا" ، ونال في النهاية شهادة "مناضل" . وترك موسى حبيب الحزب الشيوعي لينصرف الى الاعمال التجارية. واعتقل جميل توما اثر وشاية خصومه في الدائرة التي يعمل بها، التي عاد اليها بعد الانقلاب .

بعد ان شهد الجيش نشاطاً شيوعياً، سعت الحكومة الى ابعاد الجيش عن اي تنظيم سياسي وبخاصة الشيوعي، لأن الجيش الاداة الاكثر تاثيراً على وضع العراق السياسي، كما اثبت ذلك انقلاب بكر صدقي . فقامت وزارة جميل المدفعي الرابعة باصدارقانون العقوبات البغدادي رقم ٥١ لسنة ١٩٣٨ في ٨ مايس ١٩٣٨ الذي نصت مادته الاولى " يعاقب بالاشغال الشاقة او الحبس مدة لا تزيد على سبع سنين او بالغرامة او بهما، كل من حبذ او روج باحدى وسائل النشر المنصوص عليها في المادة (٧٨) من هذا القانون اياً من المذاهب الاشتراكية البلشفية (الشيوعية) الفوضوية الاباحية وما يماثلها، التي ترمي الى تغيير نظام الحكم والمبادئ والاوضاع السياسية للهيئة الاجتماعية المصونة بالقانون الاساسي" .

موقف الجواهري من وثبة 1948

الجواهري بين الشعر والصحافة

عباس غلام حسين نوري

تمثلت العلاقات العراقية – البريطانية بخضوع الضعيف للقوي منذ زمن وارادت بريطانيا عقد المعاهدة العراقية البريطانية على الرغم من المعارضة الشعبية وذلك على وفق المفاوضات التي أجريت بين الطرفين لتكون بداية لسلسة من المعاهدات التي تنظم علاقات بريطانيا بدول الشرق الأوسط وتؤدي بالنهاية الى ربطها بنظام دفاعي يرمي أساساً الى حماية المصالح النفطية البريطانية .

جرت في عام ١٩٤٧ مشاورات متعددة حول امكانية عقد تحالف مع بريطانيا ، ففي الثامن والعشرين من كانون الأول من السنة نفسها دَعتْ الحكومة مجموعة من الشخصيات السياسية المعروفة في العراق الى عقد اجتماع في قصر الرحاب وذلك لاستشارتهم في مدى حاجة البلد لهذا الأمر والأسس الكفيلة للتحالف وبعد اجتماعات مكثفة بين الجانبين "العراقي و البريطاني" وتحت أشراف الوصي اقترح الجانب البريطاني عقد مجموعة من الاجتماعات واللقاءات في بغداد ففي يومي "١٠ و١١ مايس ١٩٤٧" عقد اجتماع في منزل رئيس البعثة البريطانية في العراق الجنرال "رنتن" الذي أسهم بالمباحثات والثاني عقد في ١٥ مايس أيضاً وأستمر الأمر الى ان عقد أجتماع في ٣ كانون الثاني سنة ١٩٤٨ وتمت فيه تسمية الوفد المفاوض في لندن للتوقيع على المعاهدة المذكورة ، وتألف الوفد العراقي برئاسة صالح جبر "رئيس الوزراء" ونوري السعيد وفاضل الجمالي .

سافر الوفد العراقي الى لندن ، ويبدو ان الجواهري كان متابعاً لمجريات الأمور لذا بادر عبر جريدته "الرأي العام" الى كشف وقائع ما يجري من مفاوضات والسعي لأطلاع الشعب العراقي على تفاصيلها بوصفها بداية لإثارة الرأي العام إزاء المعاهدة ، ففي الرابع من كانون الثاني ١٩٤٨ نشرت الجريدة المذكورة نص المؤتمر الصحفي لوزير الخارجية "فاضل الجمالي عضو الوفد المفاوض ومما جاء فيه" ليس من شك أن معاهدة ١٩٣٠ لاتخلو من مأخذ اذا توخى المرء عند البحث عنها استكمال نقص والتطلع الى الظفر بمعاهدة مستوفاة من جميع الوجوه ومن حسن الظن أن الحكومة البريطانية قد سلمت بأن التعاون بين البلدين على أساس المساواة التامة هو المبدأ الذي لاغنى عنه .. ، وأضاف أن المعاهدة ليست الا رمزاً يسوّغ هذه الحقائق ويسجلها على هذا الاساس" . وأثار هذا التصريح في اليوم التالي الاوساط العراقية لما فيه من التباسات واختلافات في وجهات النظر الحكومية وغير الحكومية .

شن الجواهري هجوماً في مقال ثان في جريدته الرأي العام على ما جاء في المؤتمر الصحفي المذكور سابقاً ، وانتقد هذه التصريحات وهو لم يزل عضواً في البرلمان كما انتقد وزير الخارجية بشكل لم يسبق له مثيل من قبل ، اذ قال أنه لايصلح وزيراً للخارجية وان أقل ما فيه كان وزيراً للمعارف وليس له في الدبلوماسية وعلى أثر ذلك المقال أنذر الجواهري من قبل وزارة الداخلية وحذرته من نشر مثل هذه المقالات التي تسيء وتسبب كراهية الحكومة والمساس بكرامتها . وانتقدت جريدة الرأي العام تكذيب الأوساط الحكومية الخبر بشأن المعاهدة ا لعر ا قية البريطانية مما يفهم منه رغبتها تمرير الموضوع ، وجعل الرأي العام أمام الأمر الواقع وهو الأمر الذي أسهم في هياج الرأي العام وتبلور الموقف الى قيام التظاهرات والاحتجاجات بين الأوساط الحزبية والطلابية في أغلب المدن ، واضربت كلية الحقوق في بغداد مما أدى الى تدخل الشرطة في تفريق المتظاهرين ، مما سبب جرح كثير منهم ودخول الشرطة الحرم الجامعي ، وعلى اساس هذه التطورات كتبت الرأي العام في افتتاحية "حول معهد الحقوق" حملت فيها على تجاوز رجال الشرطة على الطلبة ، وقالت فيه "لم يكن طالبات وطلاب الحقوق وهم الطليعة من الشباب العراقي اليوم وحماة الحق والقانون والسياسة حاجة الى أن تلقي عليهم الشرطة ، مشاة وخيالة درساً قاسياً من الحجارة والهروات والقناني" وطالب في الوقت نفسه منح حرية التعبير للطلبة ومساندة المثقفين من الشباب الواعي للمشاركة في هذا التعبير .

سارت المفاوضات حول المعاهدة العراقية . البريطانية من قبل الوفد المفاوض برئاسة صالح جبر في لندن،ادعى الجواهري ان نائب رئيس الوزراء جمال بابان اتصل به عبر الهاتف وتباحث معهُ حول ما آلت اليه الأوضاع من تدهور ، وعن موقف جريدته الرأي العام وما تكتبهُ في مساندة الجماهير في الظروف الراهنة ، لكن الجواهري حسب قوله رد عليه بأن الجريدة هي حق الجماهير في التعبير عما تكتبهُ وهي ليست له بل للجماهير الغاضبة واذا كانت الجريدة تزعج الحكومة فبإمكانها غلقها ، وادعى الجواهري أنه تم غلقها فعلاً لهذا السبب في غضون يومين . وادعى الجواهري انه قد اطلع على نص المعاهدة مع الوصي اثناء سفرته الى لندن وعند عودته الى بغداد رام بكتابة مقالة حملت عنوان "صفقة خاسرة" وقبل أن يخرج العدد من الطبعة تم ايقاف الجريدة "الرأي العام" من قبل نائب رئيس الوزراء جمال بابان.

آثار سكوت المجلسين النواب والاعيان إزاء ما يحدث في الشارع العراقي ، غضب الجواهري وهو ضمن أحد المجلسين باعتبارهما المسؤلين برأيه عن قبول تلك المعاهدة أو رفضها ، لذا لم يتوان عن كتابة مقالة هاجم فيها المجلسين المذكورين متسائلاً "ماذا في أروقة المجلسين" جاء فيه "ظلمة مطبقة وصمت مخيم يتخللها نور كشاف (ونطق) بالحواجب" وضع اللوم على الكتل التي لها حضوة وحضور في داخل المجلس النيابي واصفاً سكوتهم بالرضى وزاد يقول :"وبينما يتهرب البارزون من أعضاء المجلسين من أبداء آرائهم ...وصاحب الجريدة وهو أحد من في المجلسين سيكون أقرب منهم كلهم من (انفراج) شفته المزعومة اليوم بحكم واجبه الصحفي والأدبي قبل واجبه النيابي .... ولايجوز أن يتعدى هذا الانفراج حدود الـ"٢٤" ساعة المقبلة .

اتسم موقف الجواهري بالحدة إزاء المعاهدة على غرار ما جاء في جريدته وكذا الأمر بالنسبة له في أروقة المجلس النيابي ، اذ عارض مشروع المعاهدة وملاحقها في الوقت الذي تفجر به الشارع العراقي بالمظاهرات وشمل معظم المدن العراقية ووقعت مصادمات دامية بين رجال الشرطة والمتظاهرين .

ارغمت الفوضى والتظاهرات الوصي عبدالاله ألى دعوة الشخصيات السياسية الى اجتماع خاص وطارىء في٢١كانون الثاني ١٩٤٨وحضر المدعوون من رؤساء الوزراء السابقين ونائب رئيس مجلس الأعيان ورئيس مجلس النواب وقسم من الاعيان والنواب عدد من رؤساء الاحزاب المعروفة والوزراء السابقين، وذلك في البلاط الملكي ، وفي نهاية

الاجتماع صدر بيان أذيع ، أكد أن المعاهدة الجديدة لاتلبي رغبات الشعب العراقي ولاتحقق امانيه ، وانها ليست اداة صالحة لتوطيد دعائم الصداقة بين البلدين "العراقي و البريطاني" ووعد الوصي عبدالاله الشعب بأن لاتبرم أي معاهدة لاتضمن حقوق البلاد وامانيها .

كان هذا البيان ضربة قاضية بالنسبة لشخص صالح جبر الذي أخذ على عاتقه عقد المفاوضات في لندن وتوصل الى إنجاز الصيغة النهائية للمعاهدة المرجوة ، في حين أصبح البيان مكسباً ليس بعدهُ مكسب للجماهير في المعارضة التي تواصلت في المجلس النيابي ، وكان الجواهري منذ البدء يسايرها ولاسيما تلك المعارضة النيابية التي ضمت اثنى عشر نائباً وحدت مساعيهم في جبهة موحدة عرفت بالجبهة الدستورية واعلنوا صراحة عن عدائهم لوزارة جبر وللمعاهدة ، ولحق بهم فيما بعد ثمانية نواب وتجمعوا في دار نصرت الفارسي في اجتماعين متتالين في السابع والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٤٨ بدأ الأول الذي استغرق زهاء ثلاث ساعات ليعودوا مرة أخرى الى عقد اجتماع آخر قرروا فيه تقديم استقالتهم الجماعية من المجلس لعلهم يحملون صالح جبر ووزارته على الاستقالة ورفعوا بعدها مذكرة شديدة اللهجة الى رئيس مجلس النواب وبعثوا بصورة منها لعرضها على الوصي ويبدو لنا من هذا ان الجواهري قد اسهم في صياغة المذكرة التي شددت في استنكار الاجراءات المتخذة من الحكومة لإرغام الشعب على قبول المعاهدة ، واستنكرت أيضاً الوسائل المتخذة لإرهاب الناس التي عمدت الحكومة على استعمالها بتوجيه النيران الى صدور الناس وانهم "اي الموقعين" لايسعهم الا ان يبروا بقسمهم والوفاء بعهدهم الذي قطعوه للشعب ، مقدمين استقالتهم الجماعية فيما أسرع عبد العزيز القصاب رئيس المجلس النيابي أيضاً الى تقديم أستقالته من الرئاسة ومن ثم من عضوية المجلس تضامناً مع الاستقالة المذكورة فضلاً عن استقالة بعض الوزراء.

افصح الجواهري عن أرائه بشأن الوثبة منذ البداية فقال عنها "لو أن تلك الوثبة سارت باتجاهها الصحيح ووجدت قادة وطنيين جيدين شرفاء ينتمون الى هذا الشعب ومصالحه لتغير تاريخ العراق بأكمله" وحتى بعد الوثبة شن الجواهري شديد غضبه على الحكومة لما قدمته المعاهدة من نتائج مخيبة لأمال الشعب ووفاءً لدماء شهداء الوثبة هاجم الجواهري بكل قوة من أراد مس الوثبة وشهدائها بسوء، وبالمقابل وجه خصومه اليه الطعون والصقوا فيه التهم ومنها القول أن الجواهري قد تقاضى من لجنة التبرعات الخاصة بتعويض ضحايا حادثة الجسر في معركة الوثبة مبلغاً قدرهُ "١٠٠٠" ألف دينار عن دم أخيه "جعفر" وذكرت جريدة "اللواء الجديد" لصاحبها "فيصل حسون" مقالاً بعنوان "ساخر" حول أدعاء مطالبة الجواهري بتلك الزيادة ، اذ قالت " دم الشهيد بألف دينار ... ويا بلاش" مما أغضب الجواهري ذلك المقال وتلك الأقاويل المذكورة وذكر انها عارية عن الصحة وجابه هذا الهجوم من الصحيفة بالمثل ، تلك الصحيفة التي كانت ناطقة بلسان "حزب الاستقلال" بقصيدة هجا فيها الجريدة والحزب بأفظع الألفاظ بعنوان "عرت الخطوب" متهماً إياهُ بأنه وراء الصحيفة التي نشرت الخبر .

والجدير بالقول ان قصيدة الجواهري في رثاء أخيه جعفر شهيد الجسر "الأحرار" تعطي لنا صورة واضحة عن موقف الجواهري من الوثبة ومن حكومة صالح جبر والمعاهدة ، فهي حافلة بالآراء العنيفة والمثيرة لعواطف الشعب وقد قال في بعض أبياتها:

أن الدماء التي طلها ..... مُدلٌ بشرطته
مُعرم
تنضحُ من صدرك المستطاب .... نزيفاً الى الله يستظلم
ستبقى طويلاً تجُرُ الدماء ..... ولن يبرد الدَم الا الدم
يقولون من هم اولاء الرعاعُ .... فأفهمهم بدم من هم

شكلت وزارة محمد الصدر في ٢٩ كانون الثاني ١٩٤٨ بعد استقالة حكومة صالح جبر التي أنتهى امرها بالوثبة الجماهيرية لرفض المعاهدة "العراقية– البريطانية" المذكورة ، وقامت الوزارة الجديدة بتشكيل لجنة خاصة في الأول من شباط لتحديد المسؤولين عن إراقة الدماء في أثناء وقائع الوثبة بقرار أصدرته الوزارة في اليوم الثاني من تشكيلها ، وسمحت الوزارة المذكورة للصحف المعطلة باستئناف عملها فبذلت جهود محمودة لأحتواء أزمة الخبز أيضاً ومن ثم اتخذت قراراً بحل المجلس النيابي والمباشرة باجراء انتخابات جديدة .

استمر الجواهري في شن هجومه على ما قامت به حكومة صالح جبر االسابقة ، موضحاً ما للمعاهدة المقبورة من نتائج مخيبة لأمال الشعب ، وشكك في إمكانيات الوزارة الجديدة برئاسة محمد الصدر بشأن اقتدار اللجنة المشكلة في تقديم الجناة الى المحاكم وهم المسؤولون عن إراقة الدماء ، واتهم الحكومة الجديدة بالتواطؤ مع سابقتها ، وأنها مجرد وزارة تطمين خواطر وانها غير جادة بشأن التحقيق في الأحداث وعن مسؤولي المجازر .

وعقب اصدار الارادة الملكية التي تقضي بحل المجلس النيابي بتاريخ ٢٢ شباط ١٩٤٨ استجابةً الى آراء ومقترحات القوى الوطنية وذلك بإجراء انتخابات اكثر نزاهة، كتب الجواهري يقول "اول مرة يعترف المسؤولون أن هناك شعباً وان له حقوقاً ورغبات" مندهشاً على حد قوله بان المسؤولين كانوا يأبون بل يستنكفون أن يعترفوا أن هناك شعباً وله رغبات وحقوق وأفادت الرأي العام، أن الوثبة قد اثبتت للحكومة الحالية وما يعقبها من حكومات انها لاتستطع الوقوف بوجه إرادة الجماهير مهما تسلحت وكثفت من اجراءاتها الأمنية وستعطي انطباعاً للحكومات أيضاً بأن الدماء رخيصة وأن الكرامة هي الأغلى ، تلك المعاهدة التي كتبها اناس بالحبر الأسود ومحتها الجماهير بدمائها الزكية ، تلك اللحظات التي كتب فيها الجواهري قصيدته "يوم الشهيد" .

استمر الجواهري في نهجه في قذف بركان غضبه على الحاكمين ، مستغلاً حفل تكريم الدكتور "هاشم الوتري" عام ١٩٤٩ فمدحهُ بمناسبة قبوله عضوا في الجمعية البريطانية الملكية للأطباء وبما قاله في آراء مثيرة للاهتمام وعنيفة ازاء الحاكمين قوله :

أيه "عميد الدار" ! شكوى صاحب .... طفحت لواعُجهُ فناجى صاحبا
ولقد رأى المستعمرون فرائساً ..... منا وألفْوْا كلبَ صيد سائبا
فتعهدوهُ ، فراحَ طوعَ بنانِهِمْ ..... يَبْرونَ أنياباً لهُ ومخالبا
مستأجرينَ يُخرِّبونَ ديارَهُمْ ..... ويُكافئون على الخراب رواتبا

وبعد ان اكمل قصيدته مزق الورقة التي دون فيها أبيات قصيدته لكي لا تدينهُ وتثبت عليه جنحة من القصيدة لشدة وقعها ، وبعد ثلاث أيام اوقف الجواهري ، وأدعى بان أعتقاله لعدة أسابيع جاء بوشاية من أحد الوزراء الجالسين والمدعوين في تلك الحفلة بيد أن الأخير لم يستطيع من الادلاء بشهادته امام الجواهري بحكم منصبه وهنا يقول الجواهري أني أكتشفت صورة أخرى من صور الحكم ، وقال عن الوزير المذكور ومن يشابهه في التصرف عبارة "وزراء ووكلاء".

حين تخلت بريطانيا عن نوري السعيد

عبد الكناني

اسئلة كثيرة شغلت الباحثين والمؤرخين والساسة ، ومازالت تشغل وتوجع رؤوس الناس، فهذا الرجل الذي عرف بانه رجل بريطانيا الاول في المنطقة العربية واشتهر بانه عراب اكثر من صفقة في تاريخ المنطقة، ولعل اقناعه عزيز المصري بتولي قيادة الجيش العربي كان احد الانتصارات التي حققها لبريطانيا، لان عزيز المصري كان لايثق بالانكليز ولا يحبذ التعاون معهم، من جهة ، وانه صاحب تأثير على العديد من القيادات العسكرية العربية. ومعروف بوطنيته واخلاصه لقضيته العربية من جهة اخرى لقد تمكن نوري السعيد من اقناع هذا القائد العسكري الكبير..

وعلى اثر ذلك انضم العديد من الجنرالات العرب الى الجيش العربي بمواجهة الدولة العثمانية... كذلك لعب دورا خطيرا في ترتيب الاوضاع العربية لصالح بريطانيا ومصالحها وهكذا رحل وفي جميع القياسات السياسية اصبح احد الاوراق المهمة والرابحة في يد بريطانيا، ولا يمكن التفكير او الاعتقاد يوما بانها ستتخلى عنه غير ان المؤشرات التي ظهرت قبل ثورة (١٤) تموز كانت تشير وتؤكد ان القطيعة بين الاثنين واقعة لا محالة، ولكن من سيتغدى بالثاني قبل ان يتعشى فيه.. هذا ما نحاول في هذه المتابعة الاجابة عليه.. ولعلنا سوف لا نتوقف عند رأينا فقط بل سنحاول مزجه باراء اخرى نعتقد انها ستضيف شيئا حتى لو كان معلوما او معروفا ... ان الساسة في العراق ومنذ الحكم الوطني ، ومن هم على شاكلة نوري تضخم دور نوري السعيد.

السعيد اصبح الكرسي والمال عزيز عليهما وفي مقدمتهم السعيد... الذي احس وشعر من خلال مجساته ونبضاته السياسية انه اصبح في عداد المنتهية صلاحيتهم لدى البريطانيين ، وانهم بحاجة الى تجديد الماكنة السياسية من خلال بدلاء اخرين، ويبدو انه اتفق سرا بشكل او باخر مع الملك والوصي عبدالاله ودفعهما الى زيارة واشنطن.. املاً ان يستديم عمره السياسي كما هو مقرر بذهنه، وبالمقابل يبدو الى جانب ذلك كانت حاجة بريطانيا ترصد تحركات نوري السعيد من خلال علاقاته السياسية في الخليج والاقطار العربية والاسلامية لفتح قنوات اختراق للسياسة الامريكية بالاساليب الدبلوماسية التي كانت بريطانيا متحسسة منها . (كما يقول احد معاصري تلك الحقبة، والذي استهواه تتبع خيوط هذا الامر لمعرفة الجوانب الخفية فيه، فكرس قراءاته له فوجد ان حلفهما قد انتهى). بفعل ما تقدم وتضخم دور نوري السعيد في السنوات الاخيرة. ولانه اصبح احد اقطاب دولة الاتحاد العربي واحد المنادين بفتح صفحة المطالبة بضم الكويت الى هذا الاتحاد فتغدت بريطانيا بسياسة نوري السعيد وبالقضاء على شخصه قبل ان يتعشى باستئصال النفوذ البريطاني كان بامكانها ان تنقذ نوري السعيد من القتل من خلال امكانياتها العسكرية وفي مقدمتها قواعدها الجوية غير المرحلة، واذنابها وعملاؤها والبيوتات المولية لها، والتي صنعتها، وانتشرت في العراق عموما،، ويلتقي مع هذا الرأي الباحث والسياسي محمد حسن الجابري الذي عرف بمعاصرته للاحداث، وعبر انخراطه في العمل السياسي، واهتمامه بالبحث التاريخي عن احداث العراق بشكل عام، والحقب والمراحل التي مرت به..

ويذكر ، بان صراع عنيف وخفي كان بين المخابرات البريطانية والامريكية.. وهذا الصراع لم يظهر على السطح الا بعد قيام ثورة (١٤) تموز.

وكشف بان ذلك الصراع كان له عمق تاريخي عميق.. ولهذا بعد ان حاولت حكومة العراق في العهد الملكي التقرب من المصالح الامريكية في المنطقة، لاسيما بعد زيارة الامير عبدالاله للولايات المتحدة الامريكية وللسعودية عام (١٩٥٧) اخذت المخابرات البريطانية تفكر بتغيير النظام في العراق من خلال ايجاد البديل للنظام الملكي المتهرىء بعد ان اصابته الشيخوخة والكبر من خلال شخصياته العاجزة.. وحفاظا على مصالحها في العراق، من جانب.. ومن اجل ايجاد زعامة موازية لزعامة عبد الناصر في المنطقة، وربما بديلة بعد حدوث المد القومي في المشرق العربي الذي تبناه الرئيس جمال عبد الناصر، والذي اصبح رائدا للقومية العربية، والحركة التحررية العربية، وبصورة ادق بعد تأميم قناة السويس عام (١٩٥٦) من جانب اخر.

– ولكن ما الدلائل العملية على هذا التخلي؟

انها لم تتدخل عسكريا لقمع الثورة، كما فعلت عام (١٩٤١) لا هي ولا حلف بغداد. وكان بامكان ذلك.. وهو ما كان يتوقعه نوري السعيد والذي كان يعول على تدخل بريطانيا خلال (٢٤) ساعة ولكنها لم تتدخل. وكذلك منعت الجيش الاردني من التدخل ، حيث اراد الملك حسين نجدة ابناء عمومته ونصرتهم ، وما اكده ايضا فشل المحاولة الانقلابية التي قادها اللواء صادق الشرع في الاردن بعد ثلاثة اشهر من ثورة (١٤) تموز.

واعترف بان الدافع للانقلاب كانت بريطانيا لمحاولته ونجاح ثورة (١٤) تموز في العراق..

ان الاحباط الذي اصاب نوري السعيد جراء تخلي بريطانيا عنه، وان كان يتوقعه ادى به ان يصرح من بيت الاستربادي الذي اختبأ فيه وفي اليوم الثاني للثورة.

واقسم بانه سوف لا يسمح بقدم بريطاني في العراق اذا ما فشلت الثورة..

واندفع يحاول ، واخذ يتحرك حتى القي القبض عليه وقتله في منطقة البتاويين حقا! ان جميع الدلائل والمؤشرات تؤكد على ان بريطانيا كان بامكانها انقاذ رجالها ، وحتى اعادتهم للحكم وفي مقدمتهم رجلها نوري السعيد.

فهي تملك الاسلحة والطائرات فضلا عن قيادات عديدة في الجيش العراقي كانت تنحاز لنظام الحكم الملكي.. ولكنها لم تفعل لانها رغبت بالتغيير ووجدت ان ورقة نوري السعيد قد احترقت ، واصبح وجوده خطرا عليها وعلى مصالحها.

مع وزير خارجية تركيا

بغداد
في الحرب العالمية الاولى

اميل اوبليه، مهندس، كان يعمل مستشارا للتجارة الخارجية الفرنسية، ابان الحرب العالمية الاولى. وقد زار بغداد في ذلك الحين، ووضع كتابا قيما عنها سماه بغداد: سكة حديدها، اهميتها، مستقبلها. وقد صدر الكتاب سنة ١٩١٧، مع مقدمة بقلم السياسي الفرنسي المعروف، ادورهريو، الذي كان، يومئذ، وزيرا للاشغال العامة. وفي الكتاب وصف طريف لبغداد في ذلك العهد نقتطف منه اهم ما جاء فيه.

صورة من الماضي

×لم تعد هذه المدينة، بغدد قصة الف ليلة وليلة، كما انها لم تعد تلك المدينة الساطعة، الرائعة، قصر الخلفاء، اذ لم يبق من هذا كله في الواقع، سوى صورة شاحبة للماضي، لقد جاءها الاتراك فاستقروا فيها، ويوشك اصدقاؤنا الروس والانكليز ان يخرجوهم منها.

وهي في عدد السكان، تأتي بعد مدينتي ازمير ودمشق، بين مدن تركيا الآسيوية، وجودها احر من القاهرة، ولكنه خال من الرطوبة، ومساحتها ثمانية كيلومترات مربعة فطولها اربعة كيلومترات، وعرضها كيلومتران.

×وهذه المدينة غير العادية، لو كانت بأيد اخرى، لصارت اعجوبة الامبراطورية العثمانية في الغنى، فنهر دجلة يداعبها على طول امتدادها، ويقسمها الى قسمين غير متساويين، فيترك خمس عرضها على الشاطئ الايمن، واربعة اخماسه علي الشاطئ الايسر. والاول يدعى "الكرخ" والثاني يدعى "الرصافة".

×والوصول الى بغداد عن طريق النهر، سواء كان ذلك من الشمال او الجنوب، غاية في الجمال. فهذا النهر الواسع، يقطعه جسر عائم، قائم فوق "الدوبات" ويبلغ طوله خمسين مترا، وتنتشر فوق النهر القوارب، والقفف الكبيرة، التي يتنقل فيها الناس: وتحف به ابنية هي في الغالب، غاية في الاناقة؛ وجدران للتدعيم؛ وبساتين للنخيل، والبرتقال، واشجار من كل نوع.

ولا يوجد رصيف على ضفتيه، بل كل ساكن على النهر ل سلمه الموصل الى منزله، او رصيفه الخاص به، وهناك طرق عدة، تصعد فوق منحدرات، الى ضفتي هذا النهر الرائع.

×ولم تعد بغداد العاصمة الشهيرة، التي يؤكد المؤرخون انها كانت تضم مليونا ونصفا من السكان، فهي حاليا، لا يقطن فيها سوى ١٩٨٠٠٠ نسمة، والمساحة المزروعة من الارض، قليلا او كثيرا، تمتد بين المدينة الحالية، والسور المتبقي من القرن الثالث عشر، وقد هدم مدحت باشا هذا السور، منذ خمسين سنة، ليحصل على المواد الضرورية لمشاريعه العمرانية الكبرى.

×ويمكن القول، تقريبا، انه لم يبق فيها شيء من القصور الفخمة، والجوامع الرائعة، القديمة، كذلك ان غزو الفرس لها، سنة ١٦٢٣، قد جلب على ذلك كله الخراب والدمار.

والكرخ، حيث كان يوجد في السابق، قصور الخلفاء والبنايات الفخمة، هو اليوم في حالة خراب. وفيه ثلاثون الفا من الفقراء الذين يعملون في الزراعة، وسياقة الجمال، والحايكة، والحمالة، ولم يبق فيه من الآثار القديمة، سوى قبر الاميرة زبيدة، زوجة هارون الرشيد، وضريح النبي يوشع، والشيخ معروف الكرخي، وجامع الشيخ صندل.

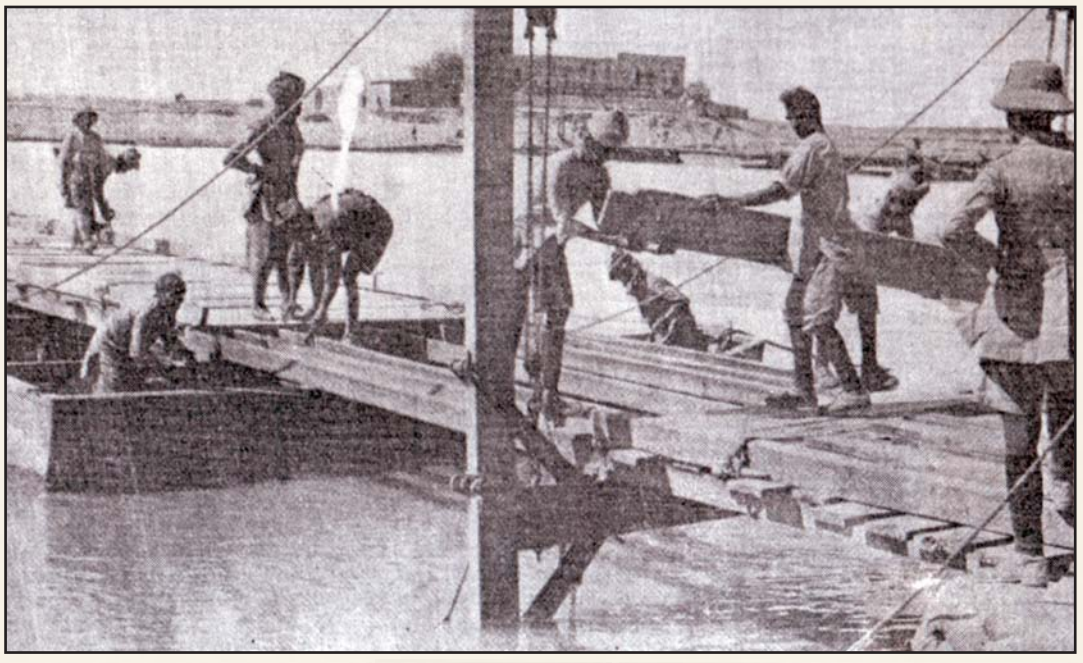

الانكليز يبنون جسرا على دجلة

مستشفى الاجانب

×ومن الانشاءات الحديثة في هذا الجانب. مستشفى الاجانب، وبقايا مصانع الحدادة من عهد مدحت باشا، وهي توشك ان تستسلم للبلى. وهناك، كذلك، اول سكة حديد، انشأها ذلك الوالي المتنور ايضا، وهيتربط بين بغداد والكاظمية، ويبلغ طولها اثني عشر كيلومترا.

جسران من خشب

×ويصل بين جانبي المدينة جسران، الاول قديم جدا في وسط بغداد، والثاني في اعلى النهر بالقرب من باب المعظم، وهما مصنوعان من الخشب والقير وسلاسل الحديد، ولا يكاد ان يقاومان تيار النهر، ويستلزمان التصليح بصورة مستمرة. والعبور عليهما يخضع لرسم المرور. وهذا يعطي "باللزمة" كل سنة عن طريق المزايدة. والجسر القديم الذي في وسط المدينة، يدر دخلا قدره ٦٤٠٠٠ فرنك في السنة، اما الآخر حيث يقل عليه العبور، فلا يدر اكثر من ٢٥٠٠٠ الى ٣٠٠٠٠ فرنك.

ويمكن تقدير سكان بغدا بـ ١٩٨٠٠٠ نسمة، يسكن ٣٧٠٠٠ منهم على الجانب الايمن و١٦١٠٠٠ على الجانب الايسر.

وهذه الارقام ليست دقيقة، اذ لا يوجد هناك اي احصاء رسمي، وانما هي احسن التقديرات المستمدة من اشخاص من مختصين في الولاية.

×وسكان بغداد يتخذون، بصورة عامة، الزي العربي، فالرجال يرتدون "الزبون" وفوقه العباءة، ويضعون على رؤوسهم الطربوش، اما مع العمامة او بدونها او "الكوفية" مع "العقار" المصنوع من وبر الجمال اما

النساء فيرتدين في بيوتهن ثيابا بسيطة للغاية، مفتوحة الصدر حتى النهدين، اللذين يغطيان بنوع من "الصدرية" مصنوعة من "الكريشة" وهن لا يخرجن الى الطريق سافرات، بل يضعن عليهن "الازرار" الذي يشبه العباءة، وعلى وجههن غطاء قصير يبرز الى الامام، يسمى "بيجة" وهو مصنوع اما من شعر الخيل، او من قماش رقيق يدعى "يازمة" او "منديل". اما اللواتي لا يتخذن الازرار، فيتغطين بعباءتين، ويضعن على وجههن برقعا خفيفا.

ونساء بغداد، اسوة بغيرهن في انحاء الامبراطورية، يستخدمن الكحل لتجميل الاجفان والاهداف، و"الحناء" لصبغ الشعر، واليدين، والقدمين. اما حليهن، فهن يسرفن في حملها، وتنقصها الرقة واللطافة، وهي تتألف من الخواتم، والاسورة، والاقراط، و"الخزامة" وهذه الاخيرة حلقة توضع في اسفل الانف، ولا يتزين بها الا بعض المسلمات، اللواتي ثقب انفهن لهذا الغرض، كما تثقب الاذن لوضع الاقراط. وهن يضعن في ارجلهن، فوق الكعب، حلقة سميكة من الذهب او الفضة، يقال لها الخلخال.

وشاعت العطور

×ومنذ سنين قليلة، بدأ المسيحيون يتخذون اللباس الاوروبي، كما بدأ يرتديه عدد كبير من سائر الرجال.

واستخدام "الحمرة" والعطور شائع جدا بين النساء اللواتي على شيء من اليسار. اما النساء الفقيرات فيستخدمن عطرا قوي الرائحة، يستخرج من نبات يدعى "خضيرة". وفي موسم الورود، يشيع بين النساء في بغداد وضع الورد في الرأس، وهو نوع من الغنج والدلال، تتميز به هذه المدينة.

والاماكن التاريخية على الجانب الايسر، اكثر منها على الجانب الايمن.

ونذكر بصورة خاصة القلعة. وهي كائنة لدى جدران قديمة، كانت في السابق تكون سور المدينة. ويرى المرء، هناك ايضا آثار السجن القديم.

وفي هذه القلعة، توجد مجموعة من المواقع القديمة، اكثرها مصنوع من البرنز. كما توجد اسلحة اثرية، وسيوف في غاية الجمال، بيد انها معروضة بشكل يفتقر الى التنظيم، حسب العادة العثمانية.

طوب ابو خزامة

×واضخم المدافع الموجودة في القلعة، مدفع يدعى "ابو خزامة"، وهو مستقر بالقرب من بابها، على منصة مبنية، تحيط به سلاسل ضخمة، ويوجد امامه هرم صغير من الكرات الحديدية. ويعتقد الناس ان هذا المدفع، قد ساهم، كثيرا، في حماية بغداد، ولذا،

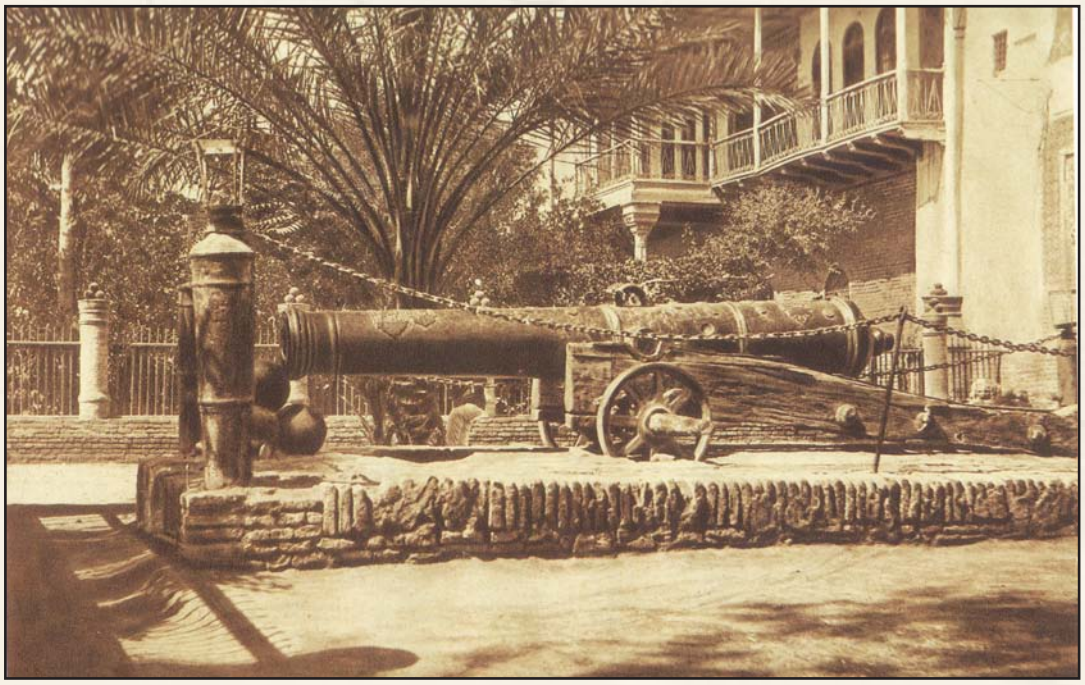

طوب ابو خزامة

فهو موضع تمجيد بين النساء، حيث يدرن بموالبدهن حوله، ثم يقربنهم من فوته، حماية لهم من الامراض. اما العاقرات، فهن يضرعن اليه لكي يشفيهن. وبعض النساء يشعلن من حوله الشموع ويعقدن بسلاسله اشرطة من القماش، علامة النذر.

ومن اقدم الجوامع، جامع مرجان، والخان الذي يحمل نفس هذا الاسم يوازيه في القدم. ثم يأتي بين الاماكن الاثرية:

باب الطلسم، الذي خرج منه السلطان مراد، بعد ان خلص بغداد من ايدي الفرس، وجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، الذي بناه السلطان سليمان، وجامع سوق الغزل بمنارته الخاصة، وجامع السيد سلطان علي، وجامع الشيخ عمر، وجامع كنجة عثمان، وجامع العيدروسي.

وهذ الجوامع تضم من السجاد الايراني الثمين، ما لا يمكن اعطاء ولو فكرة بسيطة عنه، لو امكن عرض مثل هذا السجاد، في واجهات بعض المخازن، او عرض في داخلها، بمدينة ليون الفرنسية.

وقد ذكر لي في بغداد، خبير نرويجي في السجاد، ان هذه الجوامع تحتوي على ما قيمته اكثر من مليوني فرنك، من اجمل السجاد، وانه يمكن بيعه الى الهواة باكثر من خمسة ملايين فرنك.

×وفي منطقة الكاظمية، يوجد الصحن الكاظمي الذي يضم ضريح الامام موسى الكاظم، وهو مزار فخم للمسلمين، ينطوي على ثروة عظيمة، وله موارد من الهبات، تتجاوز اربعين الف ليرة تركية في السنة.

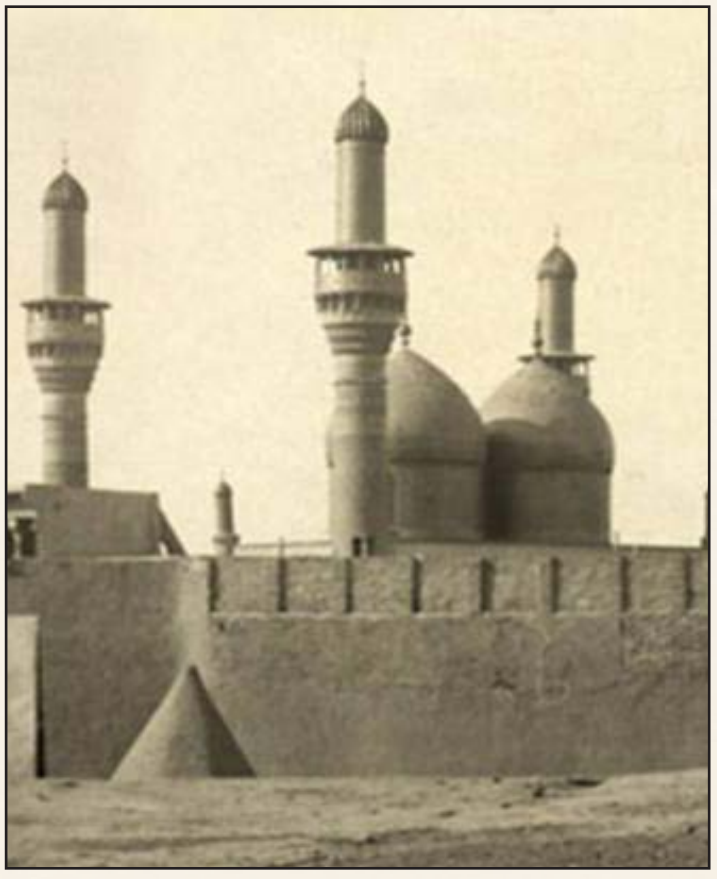

قباب الكاظمية

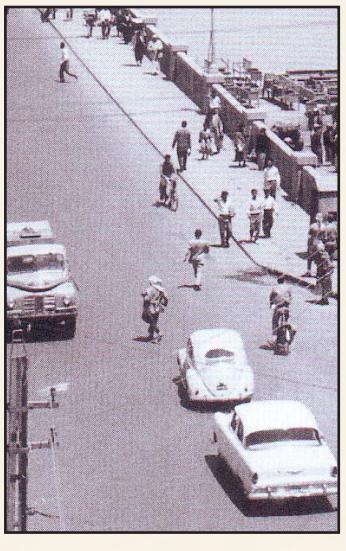

المس بيل

اما منطقة الاعظمية، المواجهة للكاظمية، ففيها جامع هام من الناحية المعمارية؛ وفيه ضريح الامام الاعظم ابي حنيفة، الفقيه الشهير من عصر هارون الرشيد.

والجاليات الاجنبية في بغداد، قليلة العدد، ولكنها تميل الى التزايد، منذ عدة سنين، فهناك الجالية الانكليزية، والجالية الالمانية، التي عظم شأنها بعد انشاء سكة حديد بغداد. اما الجالية الفرنسية، فلا تتعدى خمسين شخصا، بما فيهم اعضاء المؤسسات الدينية.

ولكل من انكلترا وروسيا قنصل عام في بغداد. اما فرنسا، وايطاليا، وبلجيكا، وهولندا، والدينمارك، والولايات المتحدة، واسبانيا، والمانيا، فيمثلها قناصل او وكالات قنصلية. واقدم قنصلية في بغداد هي القنصلية الفرنسية، اذ يرجع تاريخ تأسيسها الى سنة ١٧٤٢. ففي ذلك رسم الاب عمانوئيل مؤسس البعثة الكرملية في بغداد، مطرانا لبابل؛ وفي اثناء مقابلته للملك لويس الرابع عشر، بهذه المناسبة، منحه لقب قنصل فرنسا في بغداد، ومن بعده حمل هذا اللقب عدة مطارنة اخرين.

قنصليات بغداد

×وقد حدثنا عدد من وجهاء بغداد، في مناسبات كثيرة، عن المكانة الخاصة التي كان يتمتع بها القنصل الفرنسي بين زملائه؛ وعن نفوذه العظيم لدى السلطات الحكومية، وبين السكان.

ولكن هذا الوضع قد تغير منذ مدة. ففي ايامنا هذه، ان اهمية ونفوذ القنصلية الفرنسية، هما ابعد من ان يجاريا اهمية ونفوذ ممثلي انكلترا، وروسيا، والمانيا.

وفي سنة ١٨٠٣، اسست قنصلية عامة انكليزية في بغداد، وقنصلية في البصرة، ومما يلاحظ، ان قنصل انكلترا العام في بغداد، يحمل في نفس الوقت لقب "مقيم"، ومعتمد حكومة الهند. وهذه القنصلية العامة تتمتع بامتيازات خاصة وهامة، لا وجود لمثلها، في الولايات الاخرى للامبراطورية.

فهي تستخدم اثني عشر حارسا مسلحا، في حين ان عدد هؤلاء في القنصليات العامة الاخرى، لا يزيد على اربعة. وما هو اهم من ذلك، احتفاظ هذه القنصلية العامة، بقوة مسلحة عدد افرادها ستون جنديا يرأسهم ضابط، وتقيم في ثكنة الى جانب القنصلية. والى تاريخ قريب، كان هؤلاء الجنود، بصفة عامة من الجيش الهندي،ولكن على اثر حوادث معينة، استبدل هؤلاء بجنود انكليز، يتلقون الاوامر من القنصل العام. وفضلا عن ذلك كله، يوجد تحت تصرف هذا القنصل، سفينة حربية صغيرة، ترسو امام محل اقامته، وتخضع كذلك لاوامره. وفي سنة ١٨٨٩اثار وجود هذه القوة فوق اقليم عثماني، جدالا بين الباب العالي وانكلترا، وكان اول من اعترض على وجودها، الوالي مصطفى عاصم باشا؛ فقد دهش عند وصوله الى بغداد، اذ رأى هذا الوضع الشاذ، فشاء ان يناقش القنصل الانكليزي العام حول حق الحكومة الانكليزية، في الاحتفاظ بمثل هذه القوة العسكرية، فوق الاراضي العثمانية. ولكن القنصل رفض المناقشة، واجاب بان هذا الوضع مستمر منذ نصف قرن، فهو قديم ومن قبيل الامر الواقع، ولم تعترض عليه، اية حكومة محلية. فرفع الامر الى الباب العالي، فجاءته التعليمات بأن يحترم الحالة الراهنة "حتى صدور امر جديد". وهذه صفة ادارية يألفها الموظفون العثمانيون، ويدركون معناها حق الادراك. وليس من حاجة الى القول، ان هذا "الامر الجديد" لم يأت على الاطلاق.

عن مجلة العاملون في النفط

هل مهد اجتماع قصر الرحاب الى اندلاع وثبة 1948؟

أفرزت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ـ١٩٤٥) تناسبا جديدا للقوى على الصعيد الدولي، لاسيما بعد تراجع نفوذ ودور بريطانيا امام تصاعد دور ونفوذ الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية، في الوقت الذي ترى بريطانيا ، أن من مصلحتها البقاء في بلد مثل العراق الذي يشكل مركزا حيويا في المنطقة، وبالمقابل نجد أن النخب السياسية الواعية في العراق ، قد تزايد اهتمامها الوطني ، وامست الحاجة الى التغيير ملحة ، وكما يقال ان الحرب دائما تغير وجهات النظر، لذا بدأت بالسعي لتعديل أو إلغاء المعاهدة العراقية – البريطانية لعام ١٩٣٠ التي يعدها الرأي العام العراقي جائرة ومجحفة وان بقاءها سيخلق تناقضا واضحا في عالم بدأت معالمه السياسية والدولية تتغير . لذا يمكن القول بأن الشعب العراقي رأى أن هذه المعاهدة إستنفدت اغراضها ، وأصبحت غير ذات موضوع على حد تعبير الدكتور فاضل حسين.

فاطمة صادق السعدي

كما ان الحكومات العراقية المتعاقبة ، تتحمل مسؤولية تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية واستمرار السيطرة البريطانية على مقدرات البلاد ، ويعد نوري السعيد وعبد الاله في مقدمة السياسيين العراقيين الذين قادوا البلاد بهذا الاتجاه ، لقد كان البريطانيون يعدون معاهدة ١٩٣٠ ، ضمانا أساسيا لبقاء قواعدهم العسكرية ، وقد بدأ التفكير لتمديد مدة المعاهدة بعد مضي سنوات طويلة، وكان لابد لهم من تمديدها، والوقوف بوجه من يحاول إلغاءها . وظهرت فكرة التمديد الى العلن أواخر العام ١٩٤٧ ، وسعت الحكومة في خطتها بأجراء مفاوضات سرية مهما كلف الأمر، كما أعلن ذلك رئيس الوزراء صالح جبر.

دعا الوصي عبد الاله ، عدداً من رؤساء الوزراء السابقين والبرلمانيين والشخصيات البارزة الى اجتماع عقد في قصر الرحاب مساء الثامن والعشرين من كانون الأول ١٩٤٧، وقد وجه الوصي الذي أدار الاجتماع للحضور، أسئلة ثلاثة وهي :"

١- هل العراق بحاجة الى معاهدة تحالف مع دولة أجنبية أم لا ؟

٢- إذا كان في حاجة الى ذلك فمن هي هذه الدولة الأجنبية ؟

٣- ماهي الأسس التي يعتبرونها صالحة لهذا التحالف ؟"

وطلب الإجابة وإبداء الرأي بصراحة . وهذه الأسئلة هي التي جرى حولها النقاش وتبادل الرأي في ذلك الاجتماع الذي أستمر عدة ساعات. كما يذكر عبد الرزاق الهلالي . أن اجتماع قصر الرحاب الذي اريد منه تسجيل مواقف بعض الساسة لتهيئة أذهان الرأي العام تجاه المعاهدة ، كان بمثابة الشرارة الاولى التي أشعلت الفتيل فيما بعد ، وبخاصة من جانب بعض من الساسة والوزراء السابقين الذين لم يتم دعوتهم لحضور هذا الاجتماع .

حين جرى النقاش بشأن هذه الأسئلة الثلاثة، كان النائب داود الحيدري اول المتحدثين مذكرا الحضور بأن وزارة توفيق السويدي ، قد شرعت بموضوع تعديل المعاهدة العراقية . البريطانية ١٩٣٠، وطلب من رئيس الوزراء السابق توفيق السويدي، إعطاء الحاضرين فكرة عن الموضوع، وكان رد توفيق السويدي، "عندما اخذتُ المسؤولية ، وفكرت وتداولت مع الوصي بان الوقت قد حان للنظر في سيستم (نظام) المعاهدة مع بريطانيا ووضعت فقرة بالمنهاج ، بمفاتحة بريطانيا على اَسس (ميثاق سان فرانسيسكو) وكنتُ انتظر المفاوضات المصرية – البريطانية حتى نسير على ضوئها . ولكن الوزارة لم تبق في الحكم والمفاوضات المصرية – البريطانية قد طالت ، وعند ذلك شكلت الحكومة لجنة من اربعة وزراء اجتمعوا في وزارة الخارجية والنتيجة موجودة في وزارة الخارجية ومجلس الوزراء" .

أوضح صالح جبر "أن الهدف من الاجتماع، كما امر الوصي هو الاستنارة من آراء الحضور ، ولم ندخل بمفاوضات جديدة والحكومة ليس باستطاعتها أن تذكر شيئا لأنه لم يتم أي شيء وأن الأسس التي يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار تحتاج الى البحث" . تحدث حمدي الباجه جي عن ضرورة تعديل المعاهدة التي مر عليها اكثر من سبعة عشر عاما . واوضح أن للبريطانيين الحق بجلب الجيش حسب الحاجة في المطارين ، والمعاهدة مقيدة للسياسة الخارجية، حسب مصلحة بريطانيا. وعاد داود الحيدري معقبا وموجها سؤاله الى رئيس الوزراء صالح جبر ، "ان في نية الوزارة تعديل المعاهدة ، وان تكون على أساس الند للند ، ولكن الذي يريد فسخ العقد ، لابد أن يكون قد هيأ العرض ووضع المادة بالتعديل ، على أساس اخذ موافقة الطرف الثاني". وقد ذكر رئيس الوزراء صالح جبر معقبا على الحيدري "بأن الحكومة لازالت بهذا العزم [الند للند] ولا نريد عرض وجهة نظرها للمناقشة. ولابد لها من وضع الأسس التي تحمل الحليفة (بريطانيا) على أساس الند للند لعقد المعاهدة. وانكم ترغبون ان تستأنسوا بآراء الاخوان وقد نتفق على الاسس التي تفكر بها الحكومة هل هناك ضرورة بعقد معاهدة ؟ وما هي المسائل المهمة التي يجب تعديلها ، والموضوع ليس مناقشة الحكومة ".

أما السيد عبد المهدي المنتفكي ، فقد أوضح بأن ليس من السهل إبداء الرأي بهذه العجالة ، والمعاهدة فيها ما يمس استقلال العراق. في حين قال مصطفى العمري ، بأن تعديل المعاهدة جاء في منهاج وزارتي السويدي وصالح جبر ، "وكنت قد سألت رئيس الوزراء بالمجلس عن تقرير لجنة توفيق السويدي ، هل قبلتم أسس تقرير السويدي او التعديل على هذه الأسس ونقاط أخرى ؟، كان جواب الرئيس (صالح) على ما أتذكر : غير مرتبط بتقرير لجنة وزارية او تشكيل لجنة، وانما قال إنها بالدراسة "واشار الى أن الوزارة قد هيأت شيئا . "إنها منشغلة خلال الأشهر المنصرمة بتعديل المعاهدة واقناع الإنكليز بهذا التعديل ".

لقد شهد الاجتماع العديد من المداخلات التي اسهم بها حمدي الباجه جي ومصطفى العمري والسيد عبد المهدي المنتفكي وأعقبهم صادق البصام قائلا: "..ظروف المعاهدة الحاضرة تختلف عن ظروف العالم في الحال الحاضر ، وإننا في أمس الحاجة الى حلفاء ونتشبث بالإنكليز" . وقد اقترح تشكيل هيئة فنية ، وان الاستقلال لايتم إلا بتسليم القاعدتين الى العراق . وتساءل توفيق السويدي هل يريد العراق التعاقد مع بريطانيا ؟. واجاب نعم نريد معاهدة تحالف واكثر من صداقة ويكون المبدأ الذي نسير عليه هو معاهدة تحالف والأسس يجب أن تكون ما بين الند للند ، وحسب ميثاق الأمم المتحدة . في حين ذكر نصرت الفارسي ضرورة الاطلاع على أفكار الجهتين حتى نستطيع ابداء الرأي بشأن تعديل المعاهدة وقال أن الموضوع يتعلق بطرف آخر ليس لنا السلطة عليه . وانه ليس ثمة ما يدعو للشكوى إذ لم يبق سوى تسع سنوات على انتهاء مدة المعاهدة. واوضح مولود مخلص ان معاهدة ١٩٣٠ عقدت في ظروف يعلمها الحضور ، ولما كانت هذه الظروف قد تغيرت ونحن جميعا متذمرون من المعاهدة فلابد من "عقد معاهدة إتفاق ودفاع معها يتناسب مع شرفنا.." . وقد ذهب ابعد من ذلك في قوله بأن الملك فيصل الأول الذي سماه (سيدنا الأكبر) قد أجرى هذا الحلف ونترك للتاريخ الموضوع ، والان نحتاج الى معاهدة شريفة ، معاهدة صداقة وحلف .

وكعادته كان محمد رضا الشبيبي ، قدم الشكر بتأدب للوصي لهذه الدعوة ، وقال ما اريد قوله هو اني مؤيد الأخوان ، إذ ليس المرغوب فيه إبداء رأي معين بخصوص تعديل المعاهدة ، او تبديلها ، ما لم يطلع على أمرين وهما حسب اعتقاده ، وجهة نظر الحكومة بالأسس التي هيأتها كمقترحات من جهة ، وما هي وسائلها للحصول على احسن ما يمكن الوصول إليه للعراق من جهة أخرى ، وتساءل فيما إذا كان لدى الحكومة الان من إيضاح. فلها بيان ذلك ، مذكرا عند مناقشة المنهاج أن لاندخل في التعديل ، لأن العبرة في التطبيق لا الأقوال. كان محمد رضا الشبيبي يؤيد بحماسة إلغاء معاهدة ١٩٣٠ ، ومقتنعا أن وزارة صالح جبر ليست مؤهلة للاضطلاع بالمهمة المذكورة ، وان المفاوض العراقي الحالي لا يحقق الرغبات .

أما نجيب الراوي فقد ذكر أن الحكومة جادة في تعديل المعاهدة او تبديلها ، والقصد حسب تعبيره أن تستأنس بآراء الحاضرين ، وقد لامس الحقيقة في النيات الرسمية وما ذهبت اليه الوزارة ورغبة الوصي عبد الإله. وذكر محمد حسن كبة ، أن التعديل والتبديل شيء واحد ، وقال " أقول هذا وأقوله فضولا، حتى عن نصرت الفارسي والشبيبي ، المعاهدة الحاضرة لاتتفق مع الظرف الحالي ، لأنها عقدت بظرف غير الظرف الحالي .." .

يتضح مما تقدم بأن ما ذهب إليه الوصي قد تحقق في أحاديث الحضور في الاجتماع ، وقال الوصي مؤكدا حديث السويدي ، "ان حجتنا قوية ، بينما قال أن القواعد شيء ثقيل وقال أن خبيراً عسكرياً سيعطي الإيضاحات وهو رئيس أركان القوة الجوية البريطانية واحد المفاوضين البريطانيين ، آرثر وليم تيدر" Arthur William Tedder ، ويبدو من حديث الوصي أن حوارا دار مع تيدر بشأن الأمور التي تخص القواعد العسكرية ، وقد سأله الوصي ما هي الفائدة من وجود جيش أو قواعد لكم، وأجاب أن هناك أشياء سرية لا يمكن إبداؤها. ويضيف الوصي "فأجبته فماذا تقولون إذا انتهى أمد المعاهدة ؟ ونقول لكم لاتعقد معاهدة ، والتذمر يزيد فماذا تفعلون بعد ذلك . قال يجب أن نفكر بذلك" .

وهكذا وضع الوصي عبد الاله الحوار في الهدف الذي يصبوا إليه وتصبوا إليه الحكومة . وبعد أخذ ورد من المداخلات ، قال عمر نظمي "أن موضوع المعاهدة مفاجأة وإذا أردنا تبديل المعاهدة لا يوجد من يخالف إذا كان التعديل لا يمس سيادتنا واستقلالنا ، مع تقديري لأعمال صالح جبر، فأنه إذا جاء بأحسن معاهدة سيلقى معارضة أيضا ، ويجب أن يوضح نوري السعيد كلام (السلامة) الذي أشار إليه في حديثه"، والشيء اللافت للنظر آن الدعوة لم توجه الى قادة الأحزاب لحضور الاجتماع ، وان تجاهلهم كان له الأثر الواضح في التصدي للمعاهدة الجديدة فيما بعد ، فقد أصدرت هذه الأحزاب بيانات رافضة لأية معاهدة تمس سيادة البلاد واستقلالها .

المهم في الأمر ، الهدف الذي تطلعت اليه الوزارة والوصي ، قد تحقق ، وان نوري السعيد كان العامل الأول في عقد هذا الاجتماع ، والذي قال لصالح جبر في ختام الاجتماع "لماذا كنت مترددا من عقد هذا الاجتماع، أسمعت كيف أن هؤلاء الساسة لم يطلبوا أكثر مماسبق ، ان حصلت عليه من الإنكليز ، وقد حققته في مفاوضاتك معهم "، الأمر الذي يدل بوضوح ، مدى الرؤية التي يتعامل بها نوري السعيد وكيفية الرد على المناقشات ، بشأن المعاهدة .

أن مشورة نوري السعيد إلى صالح جبر هي التي قادت إلى عقد هذا الاجتماع في أمر المعاهدة ، فضلا عن مشورة رؤساء بعض الأحزاب السياسية وعدد من المسؤولين القدامى ، وبإصرار من الوصي عبد الإله . وكان صالح جبر حاضراً .

وفي هذا الصدد يقول توفيق السويدي ، بعد أن أنفض الاجتماع ، خرج الأمير من غرفة الطعام إلى غرفة الاستقبال ".. إقتربت منه وقلت له : أن وزارة صالح جبر ضعيفة .. لاتقوى على احتمال مسؤولية المفاوضات، فيجب أن تنظروا في وزارة مفاوضات.." لكن الوصي لم يؤيد السويدي ، ورأى أن تستمر وزارة صالح جبر في مهمتها بعقد المعاهدة ، ثم تستقيل بعد ذلك . وأضاف السويدي بأن الوصي قد استدعاه وقال له "..وجدت أن تبديل الوزارة في الوقت الحاضر ، قد لا يتأتى منه نفع ، لأنني اعتقد أن رئيس الوزراء لايمكن أن يقوم بالمفاوضة وحده وإنني كلفت نوري السعيد وفكرت بأن أكلفك بالذهاب مع رئيس الوزراء" .

لقد اقتنع الوصي بان الجميع وافقوا على تعديل المعاهدة على وفق أسس ، يجب أن توضع قبل البدء بالمفاوضات ، الأمر الذي دعاه أن يطلب حضور نوري السعيد وتوفيق السويدي ، لاخبارهما برغبته اللقاء بهما مع رئيس الوزراء صالح جبر ورئيس الديوان الملكي احمد مختار بابان في قصر الرحاب .

توفيق السويدي

اجتماع مصغر في قصر الرحاب

تقرر في هذا الاجتماع المصغر الذي ترأسه الوصي عبد الإله، تثبيت الأسس الخاصة بتعديل المعاهدة .

وقد وافق مجلس الوزراء ، على البنود السبعة ، التي ستجري على وفقها المفاوضات مع بريطانيا في لندن .

قرر مجلس الوزراء تشكيل الوفد المفاوض في الرابع من كانون الثاني ١٩٤٨ ، برئاسة صالح جبر وعضوية وزير الخارجية محمد فاضل الجمالي ووزير الدفاع شاكر الوادي ورئيس مجلس الأعيان نوري السعيد وعضو المجلس توفيق السويدي. وكان الوفد يستند إلى دعم السياسيين العراقيين إلى حد ما وتقرر أن يكون مع صالح جبر، ابرز شخصين يعتمد عليهما الوصي هما نوري السعيد وتوفيق السويدي ، بصفة مستشارين .

غادر الوفد في الخامس من كانون الثاني ١٩٤٨، إلى لندن ، وكان الجمالي قد هيأ الأجواء لعقد الاجتماع بين الجانبين ، فقد التقى النائب الدائم لوزارة الخارجية البريطاني أوروم سارجنت Örm Sarjent لتحديد النقاط التي سيبحثها رئيس الوفد صالح جبر ووزير الخارجية البريطاني ارنست بيفن .

على الرغم من الاحتجاجات الواسعة من جانب ابرز الشخصيات والأحزاب السياسية ، مثل الاستقلال والأحرار

نوري السعيد

والوطني الدمقراطي، برفع بيانات احتجاج إلى الوصي ، تندد وترفض المفاوضات من اجل تعديل المعاهدة ، في ظل وزارة غير منبثقة عن إرادة الشعب ، وان عدم دعوة الأحزاب للمشاركة يعد إغفالا مقصودا ، من جانب الحكومة تجاه الأحزاب . ومن بين ابرز الحقائق التي لا يمكن إغفالها، ما ذكره حنا بطاطو بقوله "سمع قادة الأحزاب بالاجتماع من الإذاعة " ويقصد به اجتماع قصر الرحاب. ولدى قراءتهم صحف الصباح . ولم يزعج نوري السعيد والوصي نفسيهما بإعطائهم أية فكرة عن الموضوع . وأضاف "جاء في تقرير سري معاصر للشرطة بأن رجال الأحزاب ، لم يتلقوا الدعوة واعتبروا ان تجاهلهم بهذه الطريقة، يعد إهمالا واضحا وتجاوزا على رأي الأحزاب" .

ومهما يكن من أمر، فقد سافر الوفد الى لندن في الخامس من كانون الثاني ١٩٤٨ وعقدت المفاوضات في مبنى وزارة الخارجية البريطانية ، واوضح بيفن آن الغاية من الاجتماع هي المفاوضة لعقد معاهدة جديدة مع العراق وعلى أساس المساواة التامة "وانه يقدر روح التفاهم التي أظهرتها الحكومة العراقية في المفاوضات التمهيدية "وهي الخطوة المهمة التي سعت بريطانيا للحفاظ على نفوذها السياسي وحماية مصالحها الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، بإيجاد الطريقة التي تراها مناسبة لإدامة هذه المصالح ، وكانت ترى في ربط العراق بمعاهدات ،

داود الحيدري

غير متكافئة يضر بمصالحها مستقبلاً ".

انصبت المباحثات التي استمرت أربعة أيام (١٠-٧ كانون الثاني ١٩٤٨)، عقدت خلالها أربعة اجتماعات مطولة ، على مسألة وجود القوات البريطانية في العراق ، في الوقت الذي شدد فيه الجانب البريطاني على أهمية أيجاد نظام دفاعي عن الشرق الأوسط،الأمر الذي يدل على بقاء القوات البريطانية في العراق ، في حين أكد صالح جبر ضرورة إزالة القواعد ، لأن ذلك لا يقنع العراقيين بالاستقلال التام .

تناولت المفاوضات معظم النقاط السبعة التي تمت الإشارة اليها في الاجتماع المصغر في قصر الرحاب . ومنها مواضيع إدارة السكك الحديد وإلغاء قوات الليفي التي كانت تقوم بحماية المنشآت العسكرية البريطانية في العراق. وتوصل الطرفان الى الصيغة النهائية للمعاهدة ، وخاطب بيفن الوفد العراقي في الجلسة الختامية بقوله "أن المعاهدة هي روحا وقلبا معاهدة مساواة تامة في الوجوه كافة "، وان هذه هي سياسة حكومته مع بقية أقطار العالم. ويمكن القول ان المفاوضات انتهت بالاتفاق على الصيغة النهائية للمعاهدة الجديدة ، وتم التوصل الى صيغة توفيقية بشأن الفقرة (د) من الملحق الخاص بوضع معاهدات الصلح مع جميع الأقطار التي توصف بالأعداء وتنص: على "منح صاحب الجلالة ملك العراق، وحدات الحركات العسكرية من القوة الجوية العائدة لصاحب الجلالة البريطانية . حرية دخول القاعدتين الجويتين المشار إليهما في الفقرة (ج) واستعمالهما" .

في الخامس عشر من كانون الثاني ١٩٤٨ ، وقع أعضاء الوفدين المعاهدة الجديدة في بهو بلدية مدينة بورتسموث Portsmouth البريطانية ، وعدّها بيفن أنموذجا للمعاهدات مع الدول العربية. وقد جاء الوفد بعربة خاصة من مقطورات السكك الحديد ووصل بورتسموث بعد ساعتين من مغادرته لندن ، ويذكر توفيق السويدي: "انتهت المفاوضات وقيل لنا ان التوقيع سيجري في بورتسموث لأن المستر بيفن ، وقد قطع عطلته من اجل المفاوضات، سيرجع إلى عطلته ليقضيها في محل قريب من بورتسموث ، وهي جزيرة صغيرة حتى إذا أكملت المراسيم وتم توقيع المعاهدة عاد إلى تلك الجزيرة ."

ومن الجدير بالذكر ان المعاهدة لم تسم بورتسموث حسبما يذكر توفيق السويدي في مذكراته الذي يضيف قائلا: "ان معاهدة أخرى اقل شأنا كانت قد عقدت بين الحلفاء واليابان بخصوص استسلام اليابان وانتهاء الحرب معها ولم يحبذ أحد من المسؤولين البريطانيين ان يطلق اسم بورتسموث على معاهدتنا بعد ما كانت هناك معاهدة أخرى تحمل هذا الاسم ".

ويصف أيضا ان حفل التوقيع كان مهيبا جدا إذ ضم جميع الشخصيات البارزة في (الإمبراطورية البريطانية) وقد دعي الوفد لزيارة بعض السفن الحربية الكثيرة في المرسى إكراما له حتى "إذا ازفت الساعة الخامسة رجعنا إلى القطار متوجهين إلى لندن حيث تناولنا الشاي. والذي فهمناه ان المستر بيفن سافر من بورتسموث إلى محل استراحته لتمضية عطلته ". يقول الحسني "

قال لنا الدكتور الجمالي، انه لاحظ وجود إسمي رئيس الوزارتين العراقية والبريطانية فقط على المعاهدة ، وهم في طريقهم الى بورتسموث فأعترض على ذلك وطلب أدراج أسماء المتفاوضين بأسرهم فتم له ما اراد ".

تضمنت المعاهدة التي نشرت بنودها في اليوم الثاني من التوقيع عليها ، مقدمة وسبعة مواد ، مع ملحق للمعاهدة بعشر مواد .

جاء في المادة الاولى أن يسود السلم والصداقة الدائمين ، وفي المادة الثانية "يوجه الفريقان الساميان المتعاقدان مساعيهما لتسوية النزاع بالوسائل السلمية" ، وفي المادة الثالثة ، "يبادر بموجب المعاهدة الفريق السامي، المتعاقد فورا الى معاونته كتدبير للدفاع الإجمالي" ، وفقا لأحكام المادة الرابعة من هذه المعاهدة،" ليس في هذه المعاهدة مايرمي بوجه من الوجوه الى الاخلال، او يخل بالحقوق والتعهدات المترتبة، او التي قد تترتب لاحد الفريقين المتعاقدين اوعليه وفقاً لميثاق الامم المتحدة، او وفقاً لاية اتفاقات او اتفاقيات او معاهدات دولية مرعية". وتحل المعاهدة ، محل معاهدة التحالف الموقع عليها في بغداد في الثلاثين من حزيران ١٩٣٠ ". كما ورد في المادة الخامسة. في حين نصت المادة السادسة "إذا نشأ أي خلاف حول تطبيق او تفسير هذه المعاهدة ، يحال الخلاف الى محكمة العدل الدولية ، الا إذا اتفق الفريقان على تسويته بطريقة اخرى".

وفي هذا الصدد نجد تقييما معبرا عن المعاهدة عند أحد الباحثين في قوله "كان بريق التبادل في الاتفاقية يحمل الإدانة بقدر ما كانت تحمل ملاحظة ايرنست بيفن ، سكرتير الدولة للشؤون الخارجية، التي أدلى بها قبل اشهر ، إذ قال بوقاحة: ان بريطانيا تنظر الى العراق ، فرد من أفراد العائلة ."

قصر الرحاب

شروط الترشيح للبرلمان العراقي في العهد الملكي

عصمت رفيق / باحث ومؤرخ

من الشروط: أن لا يكون مزوّراً ولا سارقاً وليس من أقرباء الملك

ظل العراق تابعاً للدولة العثمانية مدة أربعة قرون ، وعرفت البلاد العربية ومنها العراق الحياة النيابية بعد اعلان الدستور العثماني في ٢٣ تموز ١٩٠٨، وكان يبعث بمندوبيه الى مجلس المبعوثان العثماني حتى احتلت بريطانيا العراق خلال الحرب العالمية الاولى، وبدأت بحكم العراق بصورة مباشرة. وفي ٢٥/٤/١٩٢٠ قرر الحلفاء الانتداب البريطاني على العراق.

هاجت خواطر العراقيين واشتدت عزائمهم للمطالبة بحقوق بلادهم، وأخذوا ينظمون قواهم ويضعون خططهم للثورة ضد الاحتلال البريطاني.

وفي يوم ١٧/٦/١٩٢٠ استجابت بريطانيا لدعوة تشكيل مجلس عام منتخب ليضع قانوناً اساسياً للعراق. وجه كتاب من الحاكم العسكري والسياسي ببغداد الى النواب السابقين في مجلس المبعوثان العثماني لتشكيل منهم لجنة لتأليف مؤتمر عام منتخب عن اهالي العراق وكان من بينهم ناظم نفطجي عن كركوك، وذلك لسن قانون للانتخابات وتنظيم الأمور المتعلقة بذلك، وانتداب اعضاء زيادة على عددهم التي لم يحضر منها عضو لموت بعض الذين انتدبوا سابقاً وغياب بعضهم أو لتعذر حضوره لأسباب أخرى.

وعقدت لجنة الانتخابات العراقية جلستها الاولى في ٦ آب ١٩٢٠ انتخب المبعوثون فيما بينهم أشخاصا كي يقوموا مقام الغائبين والمتوفين ، وكان عددهم ثمانية عشر شخصاً مثل مدينة كركوك فيها اثنان من التركمان هما عزت باشا الكركوكلي وحسن افندي زادة خيرالله افندي. الا ان انتخاب المجلس التأسيسي الذي قررته لجنة الانتخابات أجل من قبل الحكومة البريطانية لحين تنصيب الأمير فيصل ملكا على العراق وجرى تتويج فيصل الاول ملكا في ٢٣/٨/١٩٢١. صدرت الادارة الملكية في يوم ١٠/٢٤ /١٩٢٢ باجراء الانتخابات للمجلس التأسيسي ليقرر القانون الاساسي للمملكة العراقية وقانون انتخاب مجلس النواب والمعاهدة العراقية البريطانية. الا ان الشعب قاطع هذه الانتخابات كما ان العلماء ورجال الدين اصدروا الفتاوى الداعية لذلك وطالبوا بالمقاطعة ما لم تنفذ الحكومة الشروط الاتية:

. الغاء الادارة العرفية
. اطلاق حرية المطبوعات والاجتماعات
. اعادة المنفيين السياسيين الى وطنهم
. السماح بتأليف الجمعيات

وتجاه هذا الموقف اضطرت الحكومة الى تأجيل الانتخابات ريثما تتخذ ما تراه بحق المعارضين. ولذلك نرى ان الانتخابات لم تتم وبقيت معطلة حتى سنة ١٩٢٤، وفي هذا العام في عهد وزارة عبد المحسن السعدون تمت الانتخابات، وافتتح المجلس التأسيسي في ٢٧/ ٣/ ١٩٢٤ وألقى الملك فيصل خطبة الافتتاح. هذا وقد عقد المجلس التأسيسي (٤٩) جلسة صدق خلالها على:

. المعاهدة العراقية البريطانية يوم ١٠ حزيران ١٩٢٤:
. دستور القانون الاساسي العراقي ١٠ تموز ١٩٢٤
. قانون انتخاب النواب في ٢ آب ١٩٢٤

نشر القانون الاساسي العراقي في ٢١ اذار ١٩٢٥ وقد جاء هذا القانون بـ (١٢٣) مادة ، والذي يهمنا منه الباب الثالث السلطة التشريعية ومن المادة (٢٧) حتى المادة (٦٣) تختص بمجلس الأمة (الأعيان والنواب) نصت المادة (٣٠):

لا يكون عضوا في مجلس الاعيان أو مجلس النواب
من لم يكن عراقيا
من كان مدعياً بجنسيته أو حماية اجنبية
من كان دون الثلاثين من عمره في النواب ودون الاربعين من عمره في الاعيان
من كان محكوماً عليه بالافلاس، ولم يعد اعتباره قانونا
من كان محجوزا عليه ولم يفك حجره
من كان ساقطا من الحقوق المدنية
من كان محكوما عليه بالسجن مدة لا تقل عن سنة بجريمة غير سياسية ، ومن كان محكوما عليه بالسجن للسرقة ، أو الرشوة ، او خيانة الامانة ، او التزوير، او الاحتيال ، او غير ذلك من الجرائم المخلة بالشرف بصورة مطلقة
من كان له منفعة مادية مباشرة او غير مباشرة ناشئة عن كونه مساهما ويستثنى من ذلك ملتزمو الاعشار ومستأجرو اراضي الحكومة واملاكها
من كان مجنونا أو معتوها
من كان من اقرباء الملك في الدرجة التي تعيّن بقانون خاص ، وعلى كل حال لايجوز اجتماع عضوية المجلسين في شخص واحد

مجلس الاعيان :نص القانون الساسي للدولة:

يتألف مجلس الاعيان من عدد لايتجاوز العشرين يعينهم الملك ممن نالوا ثقة الجمهور واعتماده بأعمالهم، ومن لهم ماض مجيد في خدمات الدولة والوطن

ونصت المادة (٣٢) ان مدة العضوية في مجلس الاعيان ثماني سنوات ، على ان يتبدل نصفهم في كل أربع سنين ، ويجوز اعادة تعيين الاعضاء السابقين والنصف الأول لأجل تبديل الأول بالأقتراع.

ذاكرة عراقية
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
نائب رئيس التحرير: علي حسين
التحرير: رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم
طبعت بمطابع مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون